شـقة داوُود

عماد رشدي

شـقة داوُود
عماد رشدي
تدقيق لغوي : عبدالله أبو الوفا / هِند سعد الدين
تصميم الغلاف : عبير محمد
رقم ايداع: 22087/2017
ترقيم دولي: 978-977-6594-22-7

دار فصلة للنشر والتوزيع
العزيزيه - منيا القمح - مصر
٠١٠٦٧٠٠٠٧٠١
fasla.pub@gmail.com
FB .Com/Fasla .Pub

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي أكتوبر ٢٠١٧
الطبعه الرابعه يناير ٢٠١٧

جميع حقوق النشر محفوظه لدار فصلة للنشر و التوزيع
إن أي تصوير أو اعادة طباعه أو نشر بشكل ورقي أو الكتروني أو ترجمته أو تسجيله صوتيا بدون إذن كتابي مسبق من الدار يعرض صاحبه للمسائله القانونيه

شـقة داوُود

عماد رشدي

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

إهداء

إلى والدي الذي جعلني أَسلُك طريق القراءة، وإلى والدتي حفظها الله وأطال بعمرها، وإخواتي إنجي وآية.

إهداء خاص

إلى عشرين فارس مِن مُشجعي نادي الزمالك أُزهقت أرواحهم في عَصر الثامن مِن فبراير لعام ألفين وخمسة عشر نتيجة حُبهم الجمّ لناديهم الحبيب.

أخيرًا . .

إليكُم أهدي . . هذا العمل المتواضع وأسأل الله أَنْ يتغمدكُم في واسع رحمته.

المجد للشيطان . . معبود الرياح
مَن قال لا في وجه مَن قالوا نعم
مَن علّم الإنسان تمزيق العدم
مِن قال لا. . فَلَمْ يمت
وظلّ روحًا أبديّة الألم

كلمات سبارتكوس الأخيرة
أمل دنقل

(١)

القاهرة . .
مصر القديمة .

يمر داوود على جميع الوجوه بلا تحية حتى يَصل إلى منزله الصغير المُكَون مِن طابق واحد القابع في حي مصر القديمة.
يَسير في أزقة لمنازل تَطُل منها شرفات المرَاحيض الصغيرة، فينبعث مِنها بَصِيص مِن الأضواء الشحيحة، وصوت تلاطم المياه على البلاط، غير ما يعبره مِن شوارع كُثر يوجد بها محلات الأحذية والسَكاكر والعاملين في المحال المُختلفة ما بين أفران ومَحال حياكة بخلاف وجوه منتشرة لعساكر تَكالبت عليها المعانة وسط طقس قائظٌ، وعرق، يَمسح عيونهم المنبعجة المستيقظة رُغمًا عنهم طيلة اليوم. وبدون أن يَنبس ببنت شفة يُعاين كُلّ شيء مِن حوله.
قليل الكلام أو بالأحرى عَدِيم الكلام لا يَنْطق عن الهوى إلا عندما يَشاء، كان لداوود عَيون ساهرة تَعشق الخيال فيما مضى، دائريتان يتوسطهما بؤبؤ انطُفيا مِن كثرة التلصص، وَذهن منعدم اليقظة مِن الوساوس التي يَتعرض لها آناء الليل حتى أطراف النهار، طويل القامة ذو جَسد ضئيل ضامِر، مُمتلئ بعض الشيء عِند مَنطقة الأرداف، قوام كالساعة الرملية بحق، وشَعر طويل عَانت خصلاته السوداء مُنذ أمد الدهر مُنسدل بتحرر خلفعنقه، شاحب الوجه ، يزداد عبوسًا يومًا بَعد يوم، خمري اللون، ويمتلك أنف محدبة بها نُتُوء يظهر جليًا.

وكالعادة بَعد يوم طويل مِن المضي سيرًا. يَشتري ما يكفيه لمدة مِن الزمن حتى لا يضطر يوميًا للنزول، وبعد أن ينتهي ينحدر إلى منزله القاطن بعيدًا عن أقرانه، والمحب لهُ بفضل العزلة التي يكتنفه فيها بسبب بعده عن البيوت الأخرى الفاصل بينها ترعة ضاحلة تُشبه حياته الراكدة، التي لا تجعل لديه أي نَزعة إجتهادية تُحَول حياته إلى غدٍ أفضل.

يَسكن في منزل عَتيق يرجع تاريخه إلى العصر الحجري مِن حيث الشكل، يَقع المنزل على مساحة شاسعة تُقدر بثلاثة قراريط، واجهة المنزل سبعة أمتار، ويقع في منتصف المسافة مساحة تُشبه (الفرندا) تَشغل حيز مِن الباحة الداخلية للمنزل، ولها عمودان يقفان في البداية والنهاية، يُحيطهم سور خشبي، لو رأيته لأول وَهَلَة لحَسبت إنه منزل لعمدة قرية، تترامى أمامه حديقة تتبع مساحة المنزل.

يَعيش داوود مُنفردًا، غير متزوج حتى الآن، زوجة تؤنس وحدّته، التى عانى مِنها، قَبل أن يَستحب الأمر، ويَستحسن أن يكون بعيدًا عن صخب البشر.

أمضى رَيعان شبابه في كلية الآداب جامعة القاهرة، شعبة التاريخ، ليكرس حياته لحب ذلك النوع مِن الدراسات، دخل كلية الآداب رغم مجموعه الكبير وقتذاك في الثانوية العامة، كان مولعًا بدراسة التاريخ والحضارات القديمة، لَمْ يَكُف عن القراءة مُنذ الصَغر، ضَعف بصره بسبب كثرة الاطلاع والحيز الكبير الذي كانت تَشغله القراءات التاريخية يَعتقد أن التاريخ هو مفتاح اللُغز، ورد المجهول !

وعن طريقه ستتقدم مصر فيما بَعد بِفَضل وراثة التاريخ. ينتقي قصص الفراعنة القدماء ويَحكي لأصدقائه عن الفترات التاريخية التي نَعمت بها مصر حياة الرفاهية والمجد والسلام، وبَعد دخوله الكلية درس كافة أنواع

الحضارات القديمة كالبابلية والأشورية والإغريقية والفارسية والفينيقية والحضارة المصرية القديمة وأسرار الفراعنة والدولة.

كان مِصباح الأب يرى عَقل ناضج في غير آوانه وغير البيئة التي ولد بها، مزارع بَسيط يَكسب قوت يومه ولا يقوى على العمل في عَمل آخر يَزيد به غلة النقود ويستطيع سداد المصاريف والأعباء المالية وذهاب داوود للكُتاب ليتعلم عَلم يُنتفع به، غير إنه مُتزوج مِن امرأة بَسيطة صبورة، تحملت كم المعانة التي تتحملها المرأة المصرية الأصيلة في ذلك الوقت، حتى تَركت الطفل والأب وَذَهبت إلى مثواها الأخير. تعلق داوود بها بشدة، يحبها ويسأل الله أن يَرحمها، يَزورها في المَقابِر يوميًا قَبل أن يَنتقل للدراسة في القاهرة، وتَمنى لو أنها كانت موجودة حينما قام القدر بمُكافأتهم، التف الجيران والوالد جَميعهم حول الراديو حتى سَمعوا نتيجة الثانوية العامة، محافظة المنيا ،قرية أبو قرقاص ، مدرسة المساعي الثانوية المشكورة.

رقم الجلوس :

١٩٥٤ ناجح ، ١٩٥٥ ناجح ، ١٩٥٦ راسب ، ١٩٥٧ ناجح ، ١٩٥٨ . .

توقفت جميع القلوب عندما سَمعوا ذلك الرقم لاصقوا آذانهم للراديو

ناجح .

تهللت وجوه الأهل والجيران،عمت الفرحة آرجاء المنزل، بعدما اكتشفوا تخطي داوود حاجز الـ ٧٤ ٪ كأعلى طالب في القرية، أشرق وجه أبيه مصباح، واستقبل أبناء الجيران والأصدقاء بِحَفاوة في المنزل.

بعد إنقضاء فترة الإجازة غَادر القرية بِحمولة الأكل التي أُعدت مِن قِبل الجيران، غير حمولة النصائح التي ثقبت أُذنه مِن والده عن المدينة التي

زارها مرات عديدة في صغره . .
تتابعت بَعد ذلك سنوات حياته في الجامعة وسط حشد الطُلاب مِن مختلف أنحاء الدولة، ومع الوقت اندثرت شخصيته القروية، طارت النصائح التي أودعها له والده، حتى لكنته القروية بدأت في التلاشي شيئًا فشيئًا وحلت محلها اللكنة المدنية المُهذبة والبرطمة ببعض الكلمات الفرنسية المُستعملة في ذلك الوقت كـ(أُوريفوار يا هانم . . بونسوار يا موزمازيل)، ورغم عدوله عن طابع الحياة القروية ومسلكه حياة الترف والتنزه ليلًا وسط شلَّة مِن البنات والبنين، فإنه أعطى الدراسة حقها طالب نابغ كما يَدعي أصدقائه، أو كما تقول تقديرات المواد . .
لم يُفارقه مطلقًا هاجس المذاكرة وسط الحياة الجديدة، أو بَين هالة دخان سجائره المحشوة، ولا في صورته المُنعكسة على كأس الويسكي الذي شرع في تجرعة منذ فترة طويلة.
لَمْ يَعرف للحب معنى طيلة السنوات البائدة وذلك للعادات القروية المُحتشمة.
كُلّ ما كان يشغل باله الدراسة ومذاكرة الدروس أول بأول مُنذ الصغر، لكنه ضرب مَثل - مَن شبّ على شيء شاب عليه -
تبدل مع الأيام التي تلت طفولته مِن طفل ينتحي صوب التبلد والوحدة، وما زاد الطين بلة عادات الأهل القروية، ونصائح مصباح الرجل الصالح الواعظ إلى ما هو عليه الآن، وبالتأكيد بات فساد الصفات يتراكم داخل الإنسان والنزعات الوحشية تَنفجر بدون تحذير، فكان تأثير الخروج مِن القرية وترك الحياة القديمة والذهاب إلى المدينة مُتجلي. .
الناس في المدينة أكثر تحررًا، الفتيات يتراقصن في زيٍّ خَلِيع بالنسبة لهُ

ولعاداته، الشوارع، النوادي، المسارح، والسينما مزدحمة يتوافد عليها الجميع حتى مَطلع الفجر، وتعج المدينة بِمَختلف أشكال الحياة واللهو والترف.

استغل داوود أول فرصة سنحت لهُ، اشتم رَحِيق الأزهار كالنحل الرابض فوق الزهور الزاهية ممتصًا رحيقها كان حاله عندما وجد من أحبها ؛ تَعرف عليها في حال يَصعب على الكافر، وجدها في إحدى الأزقة وسط حيوانات تلبدت وجوههم بالشهوة، وهم يجزون بأسنانهم على شفاههم مُتفرسين جسدها المُتناسق كراقصي البالية ممشوقي القوام.

تخطى الممر بسرعة ورشاقة يُحسد عليها قَبل أن يلّكم أحدهم لكمة سال لها الدم بين أسنانه المتفرقة، ألتفت لمنح القبضة القاضية لآخر كمن في حلبة مُصارعة يُصارع أربع مُصارعين بمفرده، حتى وقع في قبضة أحدهم . .

إنهال الأخرون بلكمات وركل بالأقدام (تحت الحزام) في مناطق حساسة كادت أن تودي بحياته، حاول جاهدًا التملُص لكن دون جدوى، عدل الآخر مِن ملابسه وكمم فمه بمنديل ليوقف تَدفق الدم، واستعد كمُلاكم جسور ،انهال بعدد لا نهائي مِن اللكمات في وجه داوود، أما هي فقد أطلقت ساقيها للريح لكنها تَسمرت على بُعد في مكان متواري، تَفكرت في ذنب لَمْ يقترفه هو ويَتحمل مسئوليته، توارت خَلِفَ الجدران وهي تشرئِب بعنقها النحيل، ملامحها تبدلت بحزن دفين وعيون رقراقة وسط ليل كَحيل وقمر شحيح. .

استرقت السمع للكلمات ونَهر وسب وقطرات مياه تتساقط بتناغم مُتقطع على الأرض، وبعد دقائق . . فر المجرمون بعدما طْرَحُوهُ أرْضًا ثم ترَكوهُ يَسبح في دمائه كالذبيحة.

أما هي شَعرت بوخز في صدرها، كأنها هي مَنْ تتألم، عندما شاهدت ما حدث، انتظرت قليلًا حتى اختفوا جَميعًا في لَمحٍ مِن البصر سَارت بإتجاه داوود، وهو يُجاهد مِن أجل الاستناد على مرفقه دون فائدة، رزمة مناديل اندلعت مِن حقيبتها السوداء، رَاحَت تمرر إحداها على جرح خديه، وجرح أخر خَلَفَ بعض الدماء، وهو يحدج فيها بإعجاب، نسى أمر الكدمات والجروح، وكأن رؤيتها أقراص دواء ابتلعها دَفعة واحدة خففت مِن آلامه، أو قطعة مِن الشاش الأبيض لُفت حول جروحه فتناسى أمرها . .

راحت تُمرر المنديل على الجروح حتى إنتبهت لشبح ابتسامة تجلي عليه، تَبدل الحال، أصبح هو المُتحرش لكن مُتحرش بأدب متحرش بخطفات مِن النظرات المُتفرسة في معالم هذا الجسد الرشيق، نظرات تَعد نعم الله وترى بَديع خلقه، يحتاج المهرطق النظر لذلك الجسد حتى يعلم أن الله حق، لَمْ يجرؤ على البوح بكلمة أكتفي فقط بِخَطف نظرات سريعة، فثبتت نظرها وتصلبت يداها، عدلت بعض الخُصلات الكستنائية لتظهر رقبة نحيفة وعضلة رقيقة مِن الترقوة . .

فترة صمت سادت فوق سكون الليل وتحت هدوء الأنوار المنبثقة مِن القمر، مفترشين الأرض و محجريهما متسعان، كل منهم يندهش مِن الآخر حتى قالت الفتاة بتردد:

- آسفة على اللي حصل ، مكنتش متخيلة إن كل دا يحصـ . .

قاطعها :

- الحمد لله إنك بخير.

نظرت إلى جسده الواهن، ازدردت ريقها، وقالت بحروف جاهدت مِن أجل تجميعها:

- شكرًا.
سَحرها بنظرات تجعل الخشب ينجذّب للمغناطيس!
- مفيش أي شُكر . . دا واجب .
صَحت مِن تنويمها المغناطيسي . .
- أنا . . أنا لازم أمشي دلوقتي.
قالتها بإرتباك، مضت، مُبتعدة ناسية أمر حقيبتها المتروكة على الأرض، وقفت فجأة، مُولية ظهرها لداوود، وبالطبع لا يسعفني وصَف مؤخرة معززة مكرمة تَكتمل صورتها بين عينيّ إنسان. استدارت واتجهت مُنكسة رأسها في الأرض، وهو ينفض الأتربة عن ملابسه ويعدل مِن هندامه، وقفت أمامه لثوان قَبل أنتَنحني على الأرض لتلقط الحقيبة وطرف عينيها لَمْ يُفارق وقفته، أخذتها ثم قالت:
- نسيت الشنطة .
لَمْ يتفوه بكلمة حتى انتصبت واقفة، وقبل أن تُغادر قال:
- أنتي منين؟ ممكن أوصلك في طريقي بدل ما حَد يتعرض لكِ تاني ؟
قالت بسرعة تلقائية جرعتها النَدم:
- لا شكرًا البيت قريب . .
لَمْ تتحرك، وقفت لثوانٍ معدودة ، فباغتها:
- الدنيا ليل . .
عبر كل شيء على الموافقة، ملامح وجهها نطقت، وقفتها الحائرة، نظراتها لمن حولها، فَعجل داوود ثم قال:
- تعالي متخافيش .
سارت بجانبه مرتبكة، لم تتفوه بكلمة:

- إيّه إلي مأخرك كدا في وقت زي دا!
حاولت أن تواري انفلات أعصابها مِن السؤال، لم تتكلم، أحكمت قبضتها على الحقيبة، ثم قالت:
- كنت بذاكر مع صحبتي والوقت سرقنا .
- في كلية ؟
- أه .
- كلية إيه؟
- آداب .
توقف مكانه وأردف:
- أنا كمان.
قالها ثم استكمل داوود:
- اسمك إيّه؟
- نوال . .
- جميل.
- شكرًا.
قالتها بإمتنان فقال وهو يمد يده مُصافحًا:
- داوود، اسمي داوود، ساكن قريب مِن هنا .
قاطعته وهي تعيد الاسم باستغراب:
- داوود ! .
- اسم غريب صح ؟
رفعت منكبيها بمحاذاة شحمة أذنها وأردفت:
- شويه . .

- بابا مسميني على اسم جدي، جدي كان يهودي، مسميني على اسمه مش أكتر.

- أه .

حول دفة الحوار:

- في قسم إيه؟

- علم نفس، وأنتَ؟

- تاريخ، قسم تاريخ . .

- في تالتة؟

- أه السنة دي في سنة تالتة بس عايدة سنة .

قالتها ثم جَمد وجهه لبرهه، تغيرت ملامح وجهها وَقَفت وهي تُحدج في داوود بغرابة:

- مش شايف إنها غريبة

- ما غريب إلا الشيطان، إيه اللي غريب؟

عقدت حاجبيها دلالة للاستغراب:

- إن اللي ينقذني في وقت زي دا يطلع معايا في الكلية !

انفلتت ضحكة مِن داوود فأردف:

- متقلقيش مش عماد حمدي أنا وطالع بدور البطل في الفيلم، ومكنش في اتفاق ولا حاجة بين المتحرشين عشان نعمل الدور دا، كمان يعني أنا لو متفق معاهم مش هخليهم يضربوني بالشكل دا !

وضع يده على الجروح وافتعل التأوه بطريقة ساخرة فقالت:

- آسفة، مقصدش

- ولا يهمك .

قالت وتفقا يمشيان عبر الأزقة والحواري ذات الروائح العطنة، ثرثرا كثيرًا عن أصول كُلّ منهما، حكى داوود عن محل إقامته في الناحية الأخرى مِن حي مصر القديمة بعيدًا بقليل عن الحيّ حيث الأراضي الزراعية، وأكمل قصتة عن الأصول الأصلية حينما قال:

- مِن أبو قرقاص . .

تفلتت ضحكة مِن وراء شعرها المتهدل على وجهها وهي تعيد الكلمة بطريقة مُضحكة فعاد داوود وقال:

- قرية صغيرة في محافظة المنيا اسمها أبو قرقاص، متسمعيش عنها؟

- في الحقيقة لا، مسمعتش عنها قبل كدا . .

قالت واستكملا السير، عقارب الساعة لَمْ تتوقف حينها، أكملت خجلًا ووجهها يتصبب عليه قطرات العرق كما الحال مع داوود، والحق يُقال إنذلك مِن الطبيعي، حيث أنها أول مرة في حياته التعسة يَسير مع أنثى،والأعجبأنه تحدث معها في مواضيع مُختلفة وأحاديث عَجز لسانه عن ذكرها بالسابق.

كانت فتاة جميلة، كاملة الأنوثة، تَتَمايل في السير مخلفة طقطة مِن النغمات الموسيقية بكعبها العالي على الأرض كإنهُا حوافر حصان يدب بها، أما عينيها فسبحان مَن جعلهما دائريتين يتبدل لونهما للون البُني عند سقوط أشعة الشمس فيهما !

تتميز برموش طويلة تُغلف عينين ليس لهما آخر، وشعر أكثر طولًا مما يبدو، ويَنسدل حاجبًا مفرق نهدين مُتلائمين مع جسدها الرشيق، وشفتيها حبات توت قد نضج في آوانه مَطلية بِحرص بالغ، مع مَسحة مِن بعض مساحيق التجميل التي وبدونها ستكون بالكاد . . أجمل، كما إنها تَمتلك ساقي حصان تتمختر بهما تحت سراويلها الغامقة التي تفضل ارتدائها.

تَعددت المرات وكان في حضرتها كأسيرُ حرب يقع تحت تعذيب جمالها.
خلدت الأماكن أحرفهم، وخاصةً في الجامعة كما لو أنهم يخلدون قصة حب فرعونية على جدران مَعبد مقدس ستُكتشف بعد حينٍ مِن الدهر؛
وكذلك أيضًا ترديدهم للكازينوهات المُحترمة المُطلة على النيل، والحق إنه لا يمتلك مِن النقود ما يجعله مِن رواد تلك الأماكن الباهرة، لكنه لَمْ يَبخل عليها في مقابلة تحت أضواء باهتة لشموع ترسم خيالاتهم وبضعة كراسي تساع حُبهما وسط ألحان الموسيقى . .
كان كازينو مِن النوع الذي يُطلق عليه مطعم فاخر أو كافية هادئ يَعتاده رواد الليالي الساهرة والقلوب الناضجة المفعمة وأصحاب النفوذ والمال، يرتدي بزلته الوحيدة ويُعدل مِن ربطة عنقه ثم يلتقيان .
في إحدى الليالي كان القمر مُكتملاً مُتلألأً يَطفو على مياه النيل، كان الظلام في كل صوب، فقط أنوار لا تكفي لأكتمال الوضوح تستمد من الشموع. .
جَلس على الكرسي ، انتظر قدومها على حافة النهر المُطل ، كانت لها طلّة مُبهجة فُستان أحمر قاتم يُحمل بواسطة حمالتين على كتفيها ناصعي البياض ويَظهر مِفرق نَهديها النافرين، شعرها معقوص كـكتلة واحدة للوراء في حلقات، وحذاء نفس لون الفستان ذو كعب عالي يؤرجح رَدفيها الشامخة قليلًا.
استقبل يديها بقبلة، جلست، تَحرك لسانهما كثيرًا حتى قُطع حديثهما صوت. صوبت عيونهم وتيقظت آذانهم على أصوات دقات البيانو حيث فتاة رقيقة تشدو بكلمات وصوت عذب، تتلاعب بأصابعها الثابتة على البيانو في شرود وتُتمتم بـ كلمات لأغنية فرنسية للمغنية إديث بياف . .

Je revois la ville en fete et endelire
Suffoquant sous le soleil et sous la joie
Et j›entends dans la musique les cris, les rires
Qui eclatent et rebondissent autour de moi

إنقطع صوت المُغنية بتأثيرٍ بدا جليًا على مَلامح وجهها بخروج آخر حروف الأغنية، تعالى التصفيق الحاد لثوانٍ قَبل أن يَعود السكون مرة أخرى وسط تراقص لهيب الشموع الموضوعة على الطاولات . .
إستعاد كلٌ منهما وعيه، تقابلت النظرات مرة أخرى، عادت الموسيقي مِن جديد، لكن هذه المرة هادئة بدون صوت أنثوي، بدون صوت مُطلقًا، فقط موسيقي تبعث الأمل وتهشم القلوب.
مد يده في جيب سرواله، أخرج تذكرتين لعرض مسرحي، مضيا مُتجهين إلى شارع طويل يُفضي إلى إحدى الطُرق الضيقة الموجود بها المسرح، تخطى نافذة قطع التذاكر، اصطدما بالرجل الذي يرتدي الزي الرسمي بربطة عنقة المُتماشية مع البدلة السوداء، أخذ التذاكر ومزقها وقادهم رجُل آخر إلى كرسيين مُتجاورين، وبعد خمس دقائق بدأ العرض، رغم سحر الأجواء وتَقدم العرض لَمْ يُعيراه أدنى انتباه كُلٌ سابح في ملكوت الآخر بعد فترة استدار لها عندما دار حوار بين البطل ومحبوبته على خشبة المسرح . .
- أظن أنك تُحبين؟
- لا أعلم ولكن. . .
قاطعها:
- ولكنكِ لا تجرؤين . .

- وكيف أجرؤ؟
- واجهيه ، قُولي لهُ عما بداخلك . .
- لا أجرؤ؟
قالتها المُمثلة فَهَمَ البطل بالإبتعاد عنها وحينها قالت:
- أُحبُك .
ساعتها نظر لها داوود وابتسم ، تبدلت ملامحها ودار حديث في عقلها . .
- ذلك الغبي لا يعرف كينونتي، لا يدرك أنا من أستأجرت شبان يتحرشون بي وقت وجوده في المكان ليس إلا، وكل هذا مِن تدبيري حتى تَكتمل اللعبة، لا يعرف أنهُ جزء صغير مِن دواء أقره الطبيب، لا يعلم إنني أتلاعب بحبه وأحاول الأخذ بروشتة الطبيب الغبية، ذلك الدواء الغريب الذي قاله لي، لا عقاقير، لا شراب، لا حبوب، ولا حتى لبوس!
فقط قال لي:
- حاولي أن تجدي الحب في رجل، تَستشعري معه الأمان، يجعلك تُثني على أنوثتك.
لطالما أردت أنا أصرخ في وجهه وأقول أنا لستُ مما تتطوق إليها، أنا لا أميل لكَ ولا للرجال أجمعين، أنا فقط أميل إلى جنسي !. .
ما أسوء العيش في مجتمع لا يحترم الحُـريات، مجتمع لا يحترم الشواذ كما يقولون. .

* * *

إنقضى الوقت بالنسبة لهُ في لمح البصر لم يشعر بطيلة المده . . وجدها قصيره جدًا .
سارَ على كورنيش النيل، قص عليها أحلامهُ الوردية ومدى تأثره بالتاريخ

والمنحة التي يَسعى إليها، بذله جهود مُضنية حتى يكون مُعيد في الجامعة، وطموحاته التي لطالما حَلِمَ بها في أذهانه مُنذ الصغر، هي أيضًا حكت عن غرائِزها ومَلاحمها الثورية وعن عبد الناصر وهتلر والحروب والثورات وجيفارا، تعجب كونها فتاة رقيقة تَضع بالًا للعنف والثورة! ،والحقوق والحريات. .

لكن إحقاقًا للحق ولكونها صفة مشتركة بينهما، كان سعيدًا كونها تهتم بالتاريخ مثلما يَهتم، استشعر ثمة تَطابق بينهما . .

تلك السعادة التي تستشعرها عندما تتشارك مع مَن تُحب في حُبّ شيء، الألفة والمُشاركة بعد الوحدانية وإبراز الاهتمامات المشتركة، جعلها تَتَمخض في إبراز الصفات، إنفرجت ابتسامة على شَفتيه عندما تَحسس وعي مُثقل وثقافة واسعة، تختلف عن أبناء جيلها مِن الفتيات اللاتي يتنازعن على الفساتين الباهرة ومَسَاحِيق التجميل المستوردة، ورغم هذا فإنها أعطت حَق الأنوثة العفوية بداخلها وأطلقت ثِمار جسدها البهي. .

وكما هي العادة، عكس نهاية جَميع الأفلام الذي يَنتصّر فيها الخير وتأتي النهاية بما تَشتهي الأنفس، أو يَتزوج فيها البطل مِن مَن أحب بَعد العراقيل التي واجهها مِن وقوف آلهة الإغريق في طريقه، لم تدُم العلاقة . .

تَمنى لو أنْ حياته مُجرد سِيناريو فيلم مُتاح التعديل مِن قبل الكاتب ولو لبعض المواقف ليضع الرتوش الأخيرة للقصة، أو إنه إله له القدرة على وضع الأقدار!

تَبددت الأحلام الوردية والطموحات رَاحت هباءً تحت طَوع الواسطة والمحسوبية، سنوات الدراسة أُنجزت، فَشل بالعمل كمعيد في الجامعة ذلك لأن الأولوية لأبناء الدكاترة والعاملين مُنذ زمن، ساعتها، غضب، نَقم، يسب

ويلعن مِن حِين لآخر، زَادَ الحنق والضيق وأصبحت المُعانة في أبهى صورها عندما لَمْ يَجد عملًا يُناسب شهادة التَخرج التي تطلع إليها كثيرًا، أصبح العَمل في المَحال التُجارية شيء مَفروغ منهُ . .

يَتذكر في إحدى الأيام عندما نُصِب ككاتب لمقالات تاريخية في مجلة عَمِل ثلاثة أشهر تَحت التدريب بدون أجر، وخلال الثلاث أشهر لَمْ يَدخل جيب سرواله مليمًا وبَعد نهاية المدة أُبْلغ بأنه دون المستوى، وأن المجلة في غنى عنهُ وعندما قابل صَديق يعرفه عَمِل في المجلة نفسها قال إن ما حَدث قد حَدث معهُ هو الآخر، وفيما بَعد عَرف نَهج وسياسة المجلة التي تقضي بِقبُول الخريجين وعملهم ثلاثة أشهر بداعي التدريب، وفي خلال الثلاثة أشهر تَستفيد المجلة ثم تَستغني عَنهم بعدما يَتم حَلبهم كالجاموس العُشر بداعي قلة الخبرة !

لو كان يَعلم أنَ دراسة التاريخ ستؤدي لذلك لكان أحرق جميع كُتب التاريخ وسب أحمس وعقليته الفذة، ورمى الكُتب التي تتحدث عن النهر المقدس في التُرعة وعَدل عن تلك الكلية، لَمْ يُخبر الأهل في البلدة حتى لا يُعانون مما يُعاني حتى وَصل خَبر موت والده . .

فجأة اسودت الحياة في عينيه أكثر مما كانت عليه. لَمْ يُبال ليس استهانة بما يَمر به لكن الأسود فوق الأسود لا يضيف جديد يُذكر!

أما هي قد أتمت لعبتها بدون أي تَحسُن فإستسلمت للواقع، افتعلت دون أن تخبر الطبيب قصة سَمجة دُهست في جميع الأفلام القديمة:

- يا داوود . . جيلي عريس، ابن شريك بابا في محل الملابس، أنا كلامي صعب بس اعذرني وأنا مش هقدر أقف قدام رغبة بابا .

صَرخ داخل أعماقه عندما استشعر وقع كلامها التراجيدي، صَمت أمام

حديثها رغم أنهُ كان مُستنكرًا . .
لَمْ تُرد هي الأخرى، فقط. . عَبس وَجهها بإفتعال كاذب ،سَقطت الوردة الحمراء التي أهداها إياها، رحلت، ترقرقت عَيناه بِدموع حَبيسة انفجرت كالشلال على الوردة، لفح الهواء جسده النَحيل، ورغم ضجيج السيارات وأصوات تحذريتها مِن حوله أغفل ذلك كله، لَمْ يشعر إلا بسكون تَام يُخيم عليه، أفاق منه على إثر قشعريرة تَصلب لها شعَر جَسده كاملًا . .
ظل لمدة حبيسًا يُعاني الوحدة، مع إكتئاب حَاد وارتفاع في هرمون التَفكير لو وجد. . أصبح سوداوي، نبتة شيطانية خرجت للتو في وسط الصحراء الجرداء، أو ربما صبار لا يجرؤ أحد على المساس به.
وبتلك الدوافع . . دَبر مكيدة . .
ذَات يوم انتظرها في نَفس المكان ونفس التوقيت الذي قابلها فيه وَدَافع عنها بدراوة حينها ، لكن الأمر الآن مُختلف، تخفى وراء الحائط، سارت هي وسط الظلمة مُطمئنة أنها لَنْ يَتعرض لها أحد، خَرج مُنتصبًا أمامها، وهو مُنكس الرأس يُداري ضحكة شيطانية، تَسمرت مكانها، وَقفت تنظر لعينيه التي يتطاير منهما الشرر. .
أقترب منها بينما تَصلبت سَاقيها كمسلة في مَعبد فرعوني قديم الأزل، أخرج سكينًا بينما كان يرتدي قفازًا أسود، ودَب السكين في بطنها ثم أخرجه، تحسست بيديها مكان الطعنة في ذهول، عينيها جاحظتان، لَمْ تَقدر على الصراخ، انحنت نصف انحنائة ومالت وهي تَخمش بأظافرها صدره كقطة تُخربش ثم . . إرتَطمت بالأرض .
تَشوشت الصورة في عينيها، أخر ما شاهدته هي وَقفة داوود وهو يَنْظُر لها ويخرج لسانه لاعقًا شفتيه، يَمسح حبيبات العرق عن جبينه بوجه

ذراعه، ثم تَعتمت الصورة وانطبقت عينيها قَبل أن يَختفي داوود في الظلام السرمدي . .

حبس نفسه كالعادة بين الأربعة حوائط كأنه يُعاقب نفسه بالسجن المؤبد، كان مُكتئبًا رغم تَخليص النقطة التي تَحولت للسواد في قلبه، أفكاره مُتضاربة ومُتناقضة، على الرغم إنه لَنْ يراها مُجددًا لكن دافع غريب داخل نفسه جعله يَبكي عليها. .

بعد أيام خرج مِن المنزل وذهب لعيادة الطبيب النفسي مصطفى صفوان، كان مُعتاد أن يَذهب إليه مِن حينٍ إلى آخر، يُشاركه التغيرات التى حَدثت لهُ مُنذ القدوم إلى جريمة القتل، كان طبيبًا في آواخر الأربعينات مِن العمر، مُتزوج ويَملك ولد وبنت، لا يَستغني عن ارتداء بدلة سوداء لا تُناسب عمره، عريض الجبهة، لهُ عينان عسليتان غائرتان، يَمتلك حنجرة بارزة تظهر بها تفاحة آدم، يميل إلى البدانة ومع ذلك يلّف حول وسطه حزام جلد يمسك السروال مصنوع مِن جلد الديناصور كما يدعي أو كما ندعي جميعنا .

دَخل كلية الطب بناءً على رغبة العائلة التى لَمْ يَفلت فردًا منها إلا وأصبح طبيبًا، طَموح ويمتلك ذكاء فطري قد يجعل منه في يوم ما طبيبًا عالميًا بسبب الأبحاث الذي قد تجعله يُنافس على جائزة - ألبرت لاسكر للأبحاث الطبية الأساسية -

يُحب الدائرة التي تحتويه، المرضى، العَمل، الأسرة الصغيرة التي كونها والدته الطبيبة نهال سماحة التى توفت وهو في سن صغير فعاش يتيم الأم، رجُل عصامي إعتمد على نَفسه ولَمْ يُساعده أحد، استخدم فطنته في الوصول إلي ما هو عليه رغم تَيسر الوالد ماديًا، يُحب العمل صباحًا في العيادة إلا لو تعارض مع مواعيد عمل المستشفى التي ينفر منها . .

فمه لا يترك كوب الشاي، له رفيقة حميمية بجانب كوب الشاي لا مفر منها في آن واحد ألا وهي السجائر التي يتحاشى تدخينها أمام مرضاه، ويعلل ذلك بأن لا يقتضي المرضى به ويُعبرون عن آلامهم النفسية بِسُحُب مِن دُخان السجائر الذي حللها لنفسه وحرمها على باقي البشرية.

اليوم هو يوم الإجازة، السكرتيرة مُتغيبة ولا يوجد أحد بالعيادة إلا هو، وتِلك هي عادته، يَتطّلع ملفات المرضى، ينجزَ بعض الأعمال في هدوء الغرفة، فوجئ بِدخول داوود بدون أن يَدق على باب الغرفة أو يعطي إشارة أن دخيلًا قد أتى ثم جلس في وهن ناظرًا للسقف، فقال الطبيب:

- إزيك يا داوود ؟

مرت لحظات لَمْ يرد عليه داوود، تعجب مصطفى مِن سكونه وعدوله إلى العيادة في يوم الإجازة:

- مالك يا داوود؟

أحني رأسه، حرك رأسه ناحية الطبيب حيث مجلسه، صمت قليلًا ثم قال:

- قتلتها .

تفاجأ الطبيب وجحظت عيناه ثم قال تلقائيًا:

-نوال!!

لَمْ يَرد، أشاح بوجهه بعيدًا، ساد السكون للحظات، زفر في ضيق ثم نطق أخيرًا:

- أه، نوال.

أرتاب الطبيب وقال بنبرة عالية:

- يا نهار أسود، أمتى ؟ وأزاي دا حصل ؟!

- أهو دا إلى حَصل .

أعتدل الطبيب في مجلسه ونطق بضيق . .
- أنتَ أزاي تعمل كدا ؟
- معرفش، أنا فجأة قولت عايز أروح أهنها، أشتمها، أضربها حتى ،لكن قتل !! مكنش في بالي خالص، أنا لغاية دلوقتي مش عارف أزاي عملت كدا، مش عارف أزاي قتلت إنسان، ماتخيلتهاش أبدًا، بس مش عارف، لا لا، لا، أكيد مكنتش هيَ ، جايز تكون حد تاني، ماشوفتهاش نوال اللي بحبها، أو حتى نوال اللي كرهتها، أنا شوفتها حَد عيني طقت شرار ، ملامحها أتغيرت في وشي أول ما شوفتها، انا نازل أهنها بس صدقني، مكنش في بالي أعمل كدا، حتى السكينة اللي كانت معايا مكنتش نازل بيها عشان أُقتلها بيها، السكينة دي باخدها مخصوص وأنا نازل متأخر في المنطقة دي للحماية .
أطرق الطبيب مُتفكرًا في ذهول ثم أردف بينما كانت عيناه مُصوبة في لاشيء:
- حالتك بتسوء والمهدئات مش بتجيب معاك مفعول . .
ضَحك داوود بِسخرية:
- أول مرة أشوف دكتور بيعيب نفسه !
فلتت أعصاب الطبيب وقال بنبرة صارمة:
- مِش حكاية بعيب نفسي يا بني آدم أنت، بقالك فوق الشهرين بتيجي تفضفض لي، لكنك مش عايز تساعدني ولا تساعد نفسك ومش قادر تتحكم في نفسك . .
أرخى داوود رأسه للخلف فإستطرد الطبيب:
- وأنتَ عملت كدا ليه؟ أيّ مبررك؟
- معرفش، قولتلك معرفش، بس يمكن بدافع إني أخلص منها زي ما كنت بتقولي ،بس صدقني مكنش في بالي دا خالص وصدقني شوفتها في عيني حد

تاني، حد بكرهه . .
أعاد الطبيب الكلمة بإستبدال أداة المخاطب وهو يهم واقفًا بغضب:
- خلصت منها زي ما أنا قولتلك !
- أنتَ مش قولتلي حاول تتخلص مِن أفكارك ومتفكرش فيها وبالتالي تتخلص من الإكتئاب إلي سببتهولك . .
- يا بني آدم بقولك تتخلص من أفكارك تجاهها مش تتخلص منها بمعنى تقتلها !
- معرفش . .
ابتسم داوود بسخرية بعدما أدرك إن الكلام لَن يُجدي والوقت قد أزِف فردد:
- أنا حر، وأنا اللي هتحاسب على النفس اللي قتلتها بغير حق .
جَلس الطبيب مرة أخرى على الكرسي ودب بقبضة يده على المكتب، مَرر سيجارة في فمه وسَحب نفسًا ثم قال وهو يخرج الدخان:
- بعد الحركة الزفت اللي عملتها ، نفث الطبيب دخان السيجارة في الهواء وأكمل . . لسه بتحبها؟!
أومأ داوود برأسه إيجابًا فقال الطبيب:
- يمكن يكون قتل بدافع الحب، كبت عندك خلاك تتنيل تعمل كدا بدافع الحب، لازم تتخلص مِن الاكتئاب اللي عندك دا وإلا هتقتلني أنا كمان . .
قهقه داوود:
- متخفش مبحبكش .
توترت أعصاب الطبيب فأشعل لفافة تبغ أخرى بعدما نفدت الأولى، وأطلق سحابات دائرية في الهواء تَبددت بِفَعل رياح المروحة المُثبتة في السقف وهو يحدج في داوود بنظرات تهكمية.

(٢)

بعد مرور يومين. .

كان الوقت جدَّ باكرًا، لَمْ تُرسل أشعة الشمس خِيوطها بَعد، خَلفَ السُحب خَرج داوود مِن المنزل مُلثمًا قادته ساقيه لمحطة القطار، لابد أن يَختفي عن الأعين لمدة كبيرة، وبدلًا مِن أن يظل حبيس المنزل عرج على محطة القطار ليقوده أول قطار إلى (المنيا)، ظل مُطرق التفكير في شكل المنزل عندما يَرجع ويَجده فارغًا من أبيه .

بعض الأثاث الراكد وشِبَاك العنكبوت التي بالتأكيد سَترفع قضية إن هجم عليها داوود ليتم الحكم بأن يبقى الوضع على ما هو عليه، وعلى الرغم إنه فقد أمه مُنذ الصغر وأيضًا قصَر الفترة التي قضاها معاها إلا أنه حزن عليها تذكرها أكثر مِن الأب الذي لحق بها، وأثناء الطريق تَذكر خاله عثمان، ذلك العجوز هو الوحيد الذي تربطه علاقة جيدة إلى حد ما. .

قَطع تذكرة مِن شباك التذاكر وهو يتلفت حَوله، يَشعر أنه مُراقب مِن جميع الجهات، يَتَخيل أن مرصَد هابل الفضائي يُراقب تحركاته ويتجسس مُتتبعًا خطواته !

اختارت عيناه دكة لا يَجلس عليها أحد ليشاركه إياها، فهم إليها حتى جاء القطار المُتجة إلى (المنيا) موطنه الأصلي، دخل القطار وانزوى في ركن دون أن يَنبس بكلمة، تَحرك القطار بَعد عشر دقائق قد سبح فيهما في أحلامه حتى تحرك بسرعة تتزايد على مَهل كالحياة التي عاشها، صَحا على

صوت شيء يَرتطم بالكرسي، فتح عينيه فوجد عامل تفقد التذاكر يضرب بالقلم على الكرسي الحديدي مُحدثًا صوتًا مُزعجًا، أخرج داوود التذكرة بنفور فتفقدها العامل وهو يرمي طَرف عينيه بنظرات لداوود والتذكرة قَبل أن يَمضى بِسَلام.

مَر القطار عبر قرى غريبة أشبعت وجهه الشارد بالأتربة، تواصل القطار بأصوات نهشه للقضبان الحديدية وسط حافة مِن ترعة وأخرى مِن حقول خضراء شاسعة سبح ذهنه عندما رآها.

بعد ساعات انتُزع داوود مِن شروده على أصوات صَيحَات تحذيرات القطار والعرق يَكاد يكسوه، تحركت الناس في الممر الطويل فقام وانخرطفيهم بعدما قرأ لوحة مَكتوب عليها (المنيا)، نزل مِن القطار كعصفور لقيط يَعيش في عش لآباء أخرين، سار وسط حشد ليس له أول مِن آخر، وكل وجه فيهم يدل على شيء غريب . .

خرج مِن المحطة ثم عرج عند موقف للسيارات التي سوف تُقله إلى قريته ومنزل خاله، وقف مليًا وسط أصوات نداء تتعالى لسائقي السيارات الراغبين في ملئ عرباتهم حتى وقع على أذنيه نداء (أبو قرقاص يا بيه أبو قرقاص،نَفرأبو قرقاص ، قرقاص ،قرقاص)

إستجاب للسائق الذي دفعه داخل السيارة ثلث ساعة وكان موعد وصول السيارة للقرية التي تذكر طريقها جيدًا، طريق طويل متعرج له حافتان حقول وترعة راكدة يُجاهد السمك الموجود فيها لإلتقاط أنفاسه التي أوشكت على الإنقطاع، يَتمسك بحقه في البقاء عكس داوود.

تَرنح داوود بين الأرض الطينية حتى وصل لمنزل مكون مِن طابقين، كان المنزل كئيب وجدرانه باهتة مُتشققة لكنه على مساحة واسعة، والطابق

الثاني يحميه سقف مِن الغاب والبوص المربوط ببعضه البعض، تخطى الدرج ودق ثلاث بواسطة قطعة حديدة صدئة تتوسط الباب الخشبي المتين، لَمْ يَستجب أحد للطرق فعاود مرة أخرى بلا جدوى، وبعد مُحاولات يائسة أشفق على حاله، وتراجع لخارج الفناء ليجد خاله عثمان قادمًا مُدققًا النظر يَستكشف داوود الماكث عند الباب ثم فجأة ترك حِزمة البرسيم وخطى بعيون زائغة تجاه داوود الذي عانقه عناقًا حارًا، كان عثمان وكعادة أهل القري ورغم كهولته يَتمتع بِجَسد مَتين وقوي وتجاعيد كان لها آثرها على وجهه، وجه بسيط يُحاكي المُعانة والعمل المُضني طوال فترة حياته مِن يوم مولده إلى يوم يُبعَثون، و شَعيرات رأسه رغم سوادها القاتم مُطعم بشعيرات بيضاء كإنها إبر حادة تنغزفي مَن يقترب منها، مُزارع، لا يَمتلك أرض، يَعمل باليومية عند أحد مالكي الأراضي الزراعية، يكسب قوت يومه الذي يكفية ويزيد لعدم زواجه وحَمل مسؤولية، لَمْيعط فرصة برغم كبر سنه للتفكير فيها، كانت زيجة في شبابه لَمْ تدُم أكثر مِن سنتين طلقها دون أن يَنجب منها أولاد.

حيا عثمان داوود بحفاوة الصعايدة، هَم بفتح الباب وهو يقول بلهجة صعيدية عتيقة:

- إتْفَضل يا ابن أُختي، كيفك وكيف حالك يا ولدي؟

قال داوود في صوت خفيض وبلهجة صَعيدية حاول إستعادتها بعد جولاته في المدينة التي جعلته ينسي لهجته:

- مِش بخير يا خال . .

توقف عثمان عن دس المفتاح في مزلاج الباب ساهم النظر إليه ثم هتف:

- الجميع يا ولدي مش بخير، المهم الصبر

- الصبر!
صمت داوود قليلًا ثم أردف:
- مَعدش في صبر يا خال، صبر أيوب اللي كان فيه أتجَتل خالص .
تبادلا ابتسامة ساخرة وسارَ معًا إلى داخل المنزل، وقف داوود في المُنتصف يَتطلع إلى شقوق الجدران، يَتأمل المقاطف الموضوعه، الفؤوس المُعلقة، الجرار الموضوعة والدواجن حتى انتبه لصوت خاله قائلًا:
- هحضر لُجْمة ناكولها يا ولدي
تحركت أمعاء داوود لكلام عثمان، مُنذ وقت طويل وأمعاءه خالية مِن طعام يجعله قادرًا على استكمال اليوم، دار في أرجاء الدار الفسيح ثم أنزوى في ركن أمامه طاولة خشبية وضعها عثمان، وملأها بالطعام المُشبع بالسمن البلدي والزبد والجبن وجميع تلك الخيرات التي بدأت في الاندثاروالتلاشي مع مَرور الوقت. قطع داوود رغيف خبز كبير جدًا يكفي خمسة أشخاص تقريبًا إلى نصفين وبدأ في غمس لقيمات في الأكل ثم قال عثمان بعتاب:
- كُنت فين يا ولدي، اتوحشناك، لا تلغراف تَطمن على الباقي مِن أهلك حتى؟
وقفت اللقمة عند فيه داوود المفتوح ولَمْ يتكلم، ثم قال بعد ثوان:
- وأديني عاودة تاني . .
- بعد مدة كبيرة، دا أنا نسيت شكلك ومعرفتكش غير مِن الوحمة إلى في رجبتك دي .
شبح ابتسامة ارتسم على وجه داوود قَبل أن يعاود عثمان قائلًا بِحنكة العارفين بعلم الغيب:
- المدينة غيرتك يا ولدي .

قاطعه داوود:
- عَندك حق يا خال . .
عمّ الهدوء وانقطع الحديث لدقائق، ثم أفتتح عثمان الحديث مرة أخرى قائلًا بِحزن:
-عمتك سُعاد ربنا يرحمها . .
استمر داوود في التحديق ولَمْ يَتلق عثمان ردًا فعاود قائلًا:
- حِزنت على موت ابنها محمود اللي مات غرجان . .
- الله يرحمهم يا خال . .
استكمل داوود شاردًا:
- ويرحمنا كُلنا، دا حتى الرحمة تجوز عالحي أبئا مِن الميت . .
- أبوك الله يرحمه أما مات سَابلي أمانة، وصاني أدهالك لما أشوفك يا ولدي.
.
قالها عثمان، وأستند على مرفقه ثم دلف إحدى الغرف، واتجه ناحية دولاب بدرفة واحدة والأخرى متعلقة بأخر مُسمار يَحملها، فتش في الملابس بدقة حتى عثّر على كيس قَبض عليه وذهب إلى يَد داوود، سلمه الكيس ففتحه داوود للتو ليتفقد مُحتواه فوجد أموال:
- إيه دا يا خال؟
- دي فلوس البيت إلى أبوك باعه قَبل ما يموت، الله يرحمه كان حاسس، باع البيت وقاللي خلي الفلوس دي معاك لغاية ما يحتاجها داوود وأدهاله.
زرف داوود دمعتين ثم قال وهو يتنهد:
- وقعد فين طول المدة دي ؟
- هنا يا داوود، معايا . .

كان الحديث مُثيرًا ويُشعل نَار الاشتياق في قلبيهما، فأغلق عثمان السيرة.
عاش داوود سنة زاهدًا عن الحياة الخارجية، عبء أصبح ثقيلًا على عثمان حتى وإنْ لَمْ يَكُن يُصارحه، لكنفي قرارة نفسه يَعلم إنه أصبح خطيئة ابتُلي بها عثمان تكفيرًاعن ذنب قد اقترفه في السابق، ورغم مُحاولته في إقناع داوود بأن يعمل، إلا أن الرفض كان سمته المعتادة، لا يُريد العمل، وبالتالي لا يُحبذ الزواج وحتى لو أراد فمن أين تؤكل الكتفّ؟
وبعد مُعانة مع المرض تَرحم داوود على خاله عثمان الذي مات صبيحة يوم الجمعة، وفي مدة قصيرة كان قد أنجز تَصريح الدفن وشيعت الجنازة وأخذ واجب العزاء. .
بَعد مرور أيام رتب حَاله ورجع إلى القاهرة بالتحديد إلى مصر القديمة في المنزل الذي كان يستأجره، عرض شراء المنزل وعكف عن الحياة في المنزل الذي أصبح يمتلكه.
كان الحيّ ورغم عدم إكتسابه مِيزة وسط البلد، وطراز الفن المعماري العتيق، والأحياء الكبرى في القاهرة، إلا وبعيدًا عن حدودها المليئة بالأراضي الزراعية التي يَسكن بها داوود، كان له مَسحة تاريخية عريقة ذا طبع عتيق قد اطلع عليها داوود في سنوات الجامعة.
منطقة مصر القديمة مُشبعة بالمناطق الأثرية الخالصة الكثيرة، سواء الفرعونية أو المسيحية أو الإسلامية أو اليهودية مما جعلها مصدرًا للأهتمام، كانت تُعرف قديمًا عند الفراعنة بإسم (خري عحا) والتي تعني (مكان المعركة)، غير ذلك إن منطقة مصر القديمة وبالتحديد في كنيسة (أبو سرجة) قد توارت العذراء مريم أم النور وإبنها يَسوع في مَغارة تحت هيكل الكنيسة، عندما جاءَ إلى مصر هربًا مِن (هيرودس)، فلعبت دورًا بارزًا في حياة السيد

المسيح وأمه مريم وللمسيحيين أجمعين، كما إن مَنطقة مصر القديمة قد بُني فيها أول جامع في مصر وإفريقيا وهو جامع (عمرو بن العاص) الذي أعاد بنائه وتوسعته صلاح الدين الأيوبي بعدما ضَم دولة مصر إليه، مَسجد مُميز يَتسم بنقوش بديعة، وقبة كبيرة تتوسط الفناء الداخلي للمسجد، وجوامع أخرى لها بهاء وعراقة في المنطقة، وذلك بخلاف مَعبد (كنيس ابن عزرا) اليهودي القابع في منطقة مجمع الأديان، الذي وفقًا للديانة اليهودية فإن المعبد أستخدم كمكان لصلاة نبي الله (موسي) عليه السلام.

وبعيدًا عن أهمية المنطقة التاريخية يَقبع منزل داوود، بعيدًا عن المناطق الأثرية وحشد الطلاب الذاهبين للمدراس، أو العاملين المستيقظين مُنذ الصباح الباكر، يَقع المنزل عند مُلتقى أرض زراعية وترعة تنساب مياهها بغزارة، وتأتي نساء ليملـئن جـرارهن ثم يمضين .

* * *

اليوم السبت.

عندما استيقظ مِن النوم تَحامل على إحدى ذراعيه مُقاومًا إستكمال نومه، الذي يكون مُجرد ومضة أو حدث سريع للمُعاناة التي يُعانيها ضحاياه حتى يَصطدم بالمرآة، التي يتطلع فيها إلى أسنانه المُتكسرة الصفراء جراء شراهة التدخين وعدم العناية بها مُنذ زمن مَديد، مثلها مثل لحيته الكثيفة وشاربه الطويل الكث الذي يستحق أن يَدخل به موسوعة غينيس للأرقام القياسية والمُتدلي على شفتيه المكتنزتين.

وبعد انقضاء اليوم، تجلى الشفق في السماء وكُسيت باللون البرتقالي الداكن، وأشعتها الصادرة مِن بَعيد، وقَبل أن يَرجع إلى المنزل تَكون في بؤبؤ عينه مؤخرة طرية وأرداف مُمتلئة بالشحوم عانت مِن أجل أن تكون بتلك الهيئة

المثالية، تَجمدت نظراته للحظات ثم اقترببطئ على أطراف أصابعه، كأسد يُقع بفريسته في الآسر مُنقضًا عليها، لاصق نفسه بمؤخرتها كما يَفعل الذين يستقلون سيارة أجرة مُزدحمة، صَرعت المرأة وأطلقت صرخة وهي تَلطمه على خده، كسا الغضب عينيه وهجم عليها عاقدًا قطعة قماش حول يده ستقوم بباقي المهمة.

وفجأة هجم، كمم فمها وأنفها، صُراخ مكتوم يَنحدر مِن حَنجرتها، تُحاول التَملص بشتى الطرق، وقعت على الأرض فجثا فوقها.

عينان جاحظتان تنطبقان ببطء وتعتم كل شيء مِن حولها.

وقف داوود بعدما تأكد مِن اقتلاع روحها، تَعود على ذلك المنظر، فَلَمْ تَكُن ضحيته الأولى، قد سبقتها نوال لكن الدافع هذه المرة ليس كدافع قتل نوال، كان على أهُبة الأستعداد في جَرّ هذه الأرطال مِن الشحوم بعدما لفظت أنفاسها الأخيرة، ضَرب عقله الجنون، لَمْ تَكُن النية مبيتة للقتل، فقط امرأة عابرة، لكن الأمر فاق كُلَّ التوقعات، وبالفعل عندما سَمع أصوات الصراصير المُزعجة مُتخللة سّكُون الحقول الزراعية الشاسعة تحت بزُغ القمر في السماء الكاحلة، وَجد نفسه يسحب الجثة بِحَذر بحيث لا يراه أحد تحت قمر شاهد وظلام حالك، وأخذ يُفكر في دفنها بعدما ينتهي مما راح يُفكر فيه، أخذ يُفكر على هذا النحو حتى وصل إلى حديقة المنزل، فتح بابها الصغير لكنه ارتعد عندما سمع صدى صوت أجش يُحمل بواسطة الهواء عن طريق مُكبر صوت إحدى الجوامع القريبة قائلًا:

- يا سُكان المنطقة .

تَسمر داوود في مكانه وتَداعت في عقله الأفكار، فظن أن أمره قدْ انكشف، وذلك الصوت الآن سوف يدل على مكانه ويذيع أمره بين الناس، تَخيل

موقفه عندما يأتي الناس إلى منزله، وتصور أيضًا مَدى ما سوف يفعله أهالي تِلك الجثة، أعتقد إنهم سَيحملونه على (عربة كارو) مُجردًا مِن ملابسه تمامًا، ويقومون بِزَفه زَفة بلدي كما يَفعلون مع المومس أو أنهم سوف يَضعون حَديدة مُحدبة الرأس كالحربة في مؤخرته (يخزوقونه)، كما تم مع سُليمان الحلبي الذي اغتال قائد الحملة الفرنسية في مصر (كليبر)، وتم الحكم عليه بِحَرق يده اليمنى ثم (يتخزوق) حتى تأكل رمته الطير كما كان شائعًا آنذاك في تَنفيذ أحكام الإعدام، ارتعد داوود عندما وجد التشابه الكبير الذي درسه في الجامعة وتحديدًا هذه القصة - بحيث أن سليمان نُفذ عليه الحكم في نفس المنطقة (مصر القديمة) بـ (تل العقارب)، لكن الأفظع عندما تَخيل إنهم يقطعون عضوه التناسلي ليكون عبرة للغير، وبَعد وهلة مِن التداعيات والتخيلات التي ملأت ذهنه أنصت بإهتمام للصوت عندما أرتفع مرة أخرى قائلًا:

- يا سُكان المنطقة، سوف يُرفع أذان العشاء بَعد خمس دقائق مِن الآن، وعقب الصلاة سَنكون في صحبة مُباركة إن شاء الله مع العلامة الشيخ الجليل عبد الوهاب سعيد، القارئ والعالم بأمور الدين وأحد عُلماء الأزهر الشريف الأجلاء، ليكون مِنبر لنا اليوم ليفيض بنوره وعلمه على الناس أجمعين، حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: -يرفعِ الله الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ-.

انقطع صوت الملقي بَعد تشوشات في مكبر الصوت، انتعش جَسد داوود بواسطة نَسيم قَدْ جفف عرقه اللزج وهدأ مِن روعه، مضى بإتجاه الباب زج الجثة بِدَاخل المنزل، ثم دلف الباب ورطم درفتيه وراء ظهره على غير عادة، سَحب الخشبة العريضة التي تَحل مَحل مزلاج الباب وأولجها جيدًا حتى

شعر بارتياح غزا جسده المُنهمك، وأشعل فَتِيل القنديل ووجه ضوء لهب النيران ناحية الغرفة، وباليد الأخرى أخذ في جر الجثة وألقاها على السرير، وضع القنديل - الذي طَبع لهب نيرانه ظِل مُخيف ومُضاعف بكثير لهيئة جَسد داوود على الحائط المُقابل - وهو يَفك أزرار سرواله.

وعن طريق مبدأ إن ما حدث عن طريق الخطأ وسَيتم العقاب عليه يَجب الانتفاع منهُ، أخذ داوود مِن الجثة ما لَمْ يخطر على باله.

فكانت مَلحمة شاذة وغير مُتكافئة الفرص على الفراش لفريسته اليائسة المُقتلع منها الروح، وبين جدران الغرفة الكئيبة التي تَبثُ الريبة، يَفرغ فيها رحيقه الحار وقطرات العرق تتكاثف على جبينه العريض، ثم يَعقبه شهيقًا ثم استرخاء ونوم عميق بجانب الجثة يُسافر عبره إلى كوابيس مشئومة تُناسب ما اقترفه مِن ذنب، يَتضح لهُ فيها إنهُ تحول إلى كلب، وفي الغالب أنثى وسط حَشد مِن الكلاب التي يَسيل لُعابها عندما تراه في هيئته الحيوانية تلك، وقَبل أن يَدفع أحد الكلاب ويلق به جزاء ما كان يَفعل يَستيقظ مذعورًا وأنفاسه تتسارع مِن أجل البقاء حيًا، وعينيه متسعتين تَستكشفان ما حوله، ثم تتبدل بعينين ناعستين بعدما يستريح ويعود إليه الاطمئنان.

أصبح في كامل إستيقاظه، وضع الجثة على أكتافه وذهب إلى الحديقة في جب الليل، حفر مقبرة تَسع جسدها البدين، ألقاها وردم التراب فوقها.

وبهذه الطريقة طرق باب الجنس عن طريق العالم الآخر، في الحقيقة لَمْ يَكُن في ذهنه ذلك، وتذكر تلك العادة الغريبة التي درسها مِن قَبل حينما كان في الجامعة في قسم التاريخ القديم للدولة القديمة، عندما كان المصريون حينها يتركون جثثّ النساء العذارى بدون تحنيط في خلال أربعة

أيام، وفي تلك المُدّة التي تترك فيها الجثث بدون تحنيط كان أحدهم يزفر بها لأعتقادهم قديمًا أن لهذا الأمر أتصال بالعالم الآخر، أو أن روح الفقيدة لَمْ ولَنْ تَستكِين إلا بإزالة غشاء بكورتها ومضاجعتها، لذلك كانوا يقيمون للجثة حفل عرس حول جسدها، ويقوم أحد الرجال فيما بَعد بمضاجعتها.
وكما هي العادة بالنسبة لهُ، التعليم الذي أرسخ في عقله مبادئ شاركها في حياته اليومية ورغم ذلك لَمْ يَمقت التاريخ، كان يتذكر القصص التاريخية المُختلفة، ويشبه حياته بالوحش الذي يوصففي القصة الإغريقية الأسطورية علىأن نصفه العلوي ثور والنصف السفلي إنسان، والذي تم حبسه في المتاهة عن طريق الملك مينوس، الذي طلب مِن المهندس العبقري دايدالوس بناء تلك المتاهة ليتقي شر ذلك الوحش الذي عاث في الأرض فسادًا وترويعًا وتخريبًا، حتى بنى دايدالوس متاهة بممرات متداخلة لا بداية لها ولا نهاية يَظل الوحش يَركض فيها بلا نهاية، هكذا كان يحسب نفسه، أو يرى نفسه مُنقرضًا كأفيال الماموث أو الديناصورات أو إنهُ دسيسًا مِن مكان مَجهول على الكرة الأرضية.
وخلال ذلك، أصبح الذهاب للطبيب عادة لا مَفر لها بعد أن يُنفذ الجريمة، يقصّ عليه كُلّ شيء، جَلس للحظات يستعرض الجنون الذي ضرب عقله، مريض نفسي فعلًا، يقتُل مَن أحب!، ويمارس الرذائل مع الأموات، كان يُعاني مِن بُعدين، بُعد يجعله يفقه ما يفعل ويستفسر عن تلك الدوافع، وبُعد آخر يَحجب عن عيونه الرحمة ويفعل تلك الدوافع بلا تفكير.
عندما ذهب وجد الطبيب قابعًا بجفون مرتخية، نظر الطبيب لهُ مليًا قبل أن يَنطق داوود وهو يَضحك ضحكات شيطانية خاف منها الطبيب . .
- قتلت تاني . ثم استمر في الضحك ،فأردف له الطبيب:

- تختفي فترة وتجيلي بمصيبة !
أصبحت عين داوود واسعة تَنطق بالجنون فردد الطبيب بهدوء:
- قتلت تاني، دا انت قتال قُتلة على كدا أخاف على نفسي!
توقف داوود عن الضحك ثم تبدلت معالم وجهه لبراءة طفل حديث العهد:
- مكنتش أقصد .
أستشاط الطبيب غضبًا . .
- أزاي؟ أزاي مكنتش تقصد ؟!
- أنت اللي المفروض تجاوبني على السؤال دا، هو أنت مش طبيب نفسي ولا أنا جاي لطبيب عيون؟
حاول الطبيب أن يهدئ مِن نفسه ويتمالك أعصابه:
- تقوم تقتل!، دي الجثة الكام دلوقتي ؟
ابتسامة مجنونة على وجه داوود تقول أن الوضع لا يحمد عقباه:
- نوال والست دي .
رفع إصبعين مُتجاورين وقال وهو يحدج فيهما بجنون:
- يبقى اتنين .
أعاد الكلمة كفحيح الأفاعي. .
طرق الطبيب بقبضة يده على المكتب:
- مش خايف أبلغ عنك ؟ ثم أزاي الشرطة مش عارفة توصلك لغاية دلوقتي؟
عقد داوود حاجبيه ونظر للطبيب نظرة عدائية وقال بإستنكار:
-تبلغ عني!هي دي العلاقة السرية اللي بتقولوا عليها بين المريض والدكتور !
- يا داوود الموضوع زاد عن حدة مبقاش مجرد علاقة ما بين مريض ودكتور

بقت علاقة ما بين دكتور وقتال قُتلة .
انطلقت ضحكة ساخرة مِن الطبيب:
- وقتلت مين المرادي وليه؟
عادت ملامح وجه داوود مرة أخرى للجنون، أنفرجت شفتاه وطبعت أبتسامة جنونية على وجهه، تَرجم الطبيب حالات داوود المتذبذبة وتغير شخصيته مِن وضع لوضع أخر:
- معرفهاش .
- طب ليه؟ إيه الدافع؟إيه السبب؟!
ساد الصمت للحظات قبل أن يقول داوود:
- صدقني أما بقول لك معرفش يبقى معرفش فعلًا ، المرة دي كنت أنا الغلطان . .
- أزاي ؟
- أنا قربت مِنها بهدوء هي اللي صَوتت، وكانت عايزة تِلَم الخلق علينا، ثم أنا فرحت في الأول أما قتلتلها معرفش ليه ! حسيت إني قتلت واحد كان ليا عندهُ تار، لامؤاخذة يا دكتور كلمة تارغريبة شوية عن سكان المدينة عارف .
أتسعت حدقتا الطبيب، وتمتم بصوت غير مسموع وهو يطلق زفيرًا حارًا:
- مَتخرجش برا الموضوع، كَمل . .
- المهم إني فرحت، حسيت إنها كانت قاتلة حَد في عيلتي، وأنا خَدت بتاري مثلًا وأنتقمت منهـ . .
قاطعه الطبيب:
- وأنت ليك تار عند حَد؟ وكمان وليه ست؟!

- مش عارف، بس ساعتها أفتكرت حادثة كدا وأنا صغير . .
كنت صغير ومش فاهم معنى كلمة تار أوي، المهم، كنت حوالي سبع سنين وبَسمع الكلمة دي على طول وكُل معلوماتي عنها قَتل، في يوم صَحيت مِن النوم على صويت جارتنا عديلة، كانت حاجة مَتتخيرش عن فاتن حمامة كدا والله، المهم، طلعت أشوف اللي حَصل لاقيت الولية غَصب عنها زقت ابنها مِن البلكونة فطب وقع ساكت، أبنها كان صاحبي أوي يا دكتور كان بيلعب معايا على طول، ومِن ساعتها وأنا واخد فكرة عن التار وكنت بقول وأنا صغير إني لازم أخد بتار محمود وأقتل أمه، رغم إن مفهوم التار في دماغي كان غلط، والولية مَكنتش تقصد توقعه مِن البلكونه.
التفت الطبيب وأردف بصوت مسموع تلك المرة وهو يشيح بيده جانبًا بعيدًا عن وَجْنَتهُ:
- وإيه العلاقة يا داوود باللي بتحكيه ؟
- هقولك ، في الوقت اللي هَجمت فيه على الست دي، أفتكرت للحظة كدا اللي حصل زمان لمحمود، وأن الست دي أمه مثلًا!
طَفح السكون مرة أخرى ثم كسره الطبيب:
- أنت عايز تتعالج؟
- لا.
- أمال جايلي ليه؟
- بفضفض .
قالها داوود فأومأ الطبيب برأسه عدة مرات.

(٣)

أختفى داوود لمدة مَعقولة حتى لا يُثير الشِكوك حَول نفسه ويواري جَرائِمه مع مرور الوقت، وفي إحدى الأيام مساءً بناءً على موعد مُسبق حدده الطبيب.

وقبل أن يأتي داوود، كان الطبيب جالس في المكتب يَفرغ حبر القلم على ورقة يسجل فيها حالة داوود . .

-يتسم داوود بحالة شديدة الغرابة لَمْ تَمر عليّ مُطلقًا، ضحيتان كانتا نتاج تلك الحالة التي يعاني منها المريض، وربما يتطور الأمر وتكثر الضحايا فيما بعد، قريبًا سيحدث ذلك، الحالة بإختصار أن الوجوهُ تتبدل في نظره، يشاهد وجه أحدهم بصورة أخرى، للتبسيط يرى وجه فُلان في وجه أخر بمقته، بحيث إنه يشاهد على سبيل المثال محمد صديقه الودود على إنه سعيد عدوه اللدود، ويقوم بإيذاء محمد لأنه يحسب أنه سعيد، وفي بعض الحالات يتطور الأمر ويؤدي إلى القتل بدوافع أجهلها، لكن المؤكد بالنسبة لي أنه ما عاد يرى غير الشر -.

ذَهب داوود في يوم أجازة العيادة إلى الطبيب بدون جريمة هذه المرة، دَخَل المَكتب فوجد الطبيب جَالسًا وهو يدُس محتوى حقنة في وريد يده ثم وضعها على المكتب:

- قتلت مين المرة دي ؟

قالها الطبيب فَلَمْ يَرد داوود، الذي رآه شخصًا أخر غير الطبيب مصطفى

صفوان، هذه المرة شاهده عمه حنفي سمير، تلك الحالة الغريبة التي تُصيب فئة قليلة نادرة مِن الشخوص. .
(وهم كابجراس) أو (إضطراب كابجراس)؛ وفيها يَتوهم داوود أو المصاب عمومًا أن صديقه أو زوجته أو والديه أو أي شخص قريب بأنهم أشخاص أخريين مُحتالين يشبهون الأقربين بمظاهرهم، ونتيجة لذلك كان الطبيب مرسوم في عيون داوود بملامح أخرى غير ملامحه، ألا وهي ملامح عمه حنفي فنظر له بعدائية موحشة، وهو يستنشق أنفاسًا مُتعاقبة ويسترجع شريط الذكريات.

* * *

قبل أعوام . .
منزل عم داوود.
في يوم مِن أيام فبراير الباردة، أُرسل داوود ليَمكث عِند عمه ليؤنس وحدته، ذلك لأن زوجته كانت عاقرًا لَمْ تَلدْ مُطلقًا رغم أن حنفي دار بها على أطباء المحروسة بلا جدوى، كانت مَشاكلهم لا تنتهي وحياتهم خالية مِن أي متعة وحتى على الآسرة، وجعل ذلك السبب الذي كان يَتخفى ورائه حنفي زوجها، كان يَمقت وجهها ويزجرها ويضربها ضرب مبرح مِن وقت لآخر، كونها هي السبب في حرمانه مِن ولد يَحمل لقب العائلة، وفي ليلة جاء لها مُتأخرًا وقد لاحظت مُنذ فترة ليست بالقليلة هذا التأخر، فقالت عندما دلف الباب:
- في حاجة حصلت؟
- دا سؤال؟
- أنت شايف إيه؟

- لا مفيش حاجة حصلت!

زمت صفية شفتيها:

- أصلك متأخر . .

- عَدي يومك يا صفية، أنا أتأخر وأجي وقت ما أحب . .

- وأنا مَليش حَق عليك ولا إيه إن شاء الله، ولا هتسبني لوحدي وتجيلي في نصاص الليالي !

- أنتي مش معاكي داوود مسليكي يا ولية . .

اتسعت عيناها وقالت بإنبهار ممزوج بسخرية:

- داوود، يسليني، طفل هيسليني !

ضَحكت ضحكات متقطعة ثم أستكملت:

- مقولتش كنت فين يا حنفي ؟

- كنت عند مراتي الجديدة يا صفية، هاا أستريحتي كدا !!

وقعت الكلمة كالصاعقة على مسامعها:

- مراتك الجديدة ؟

- أه مراتي الجديدة، عايز ابن يا صفية يشيل اسمي،ابن يعوضني ياصفية، أظن دا مِن حقي .

كسا الحزن ملامح وجهها، أشاحت وجهها وخطت خطواتين وقالت:

-. فعلا حقك

التفتت إليه وقالت:

- طلقني .

- لا .

- لا هتطلقني مش هقدر أعيش مع ضرة ولا حتـ .

قاطعها حنفي:
- ومين قالك إنها هتيجي تعيش معاكي، هي هتعيش لوحدها في بيت تاني وليكي كل الحق زي ما هي ليها كل الحق . .
أومأت برأسها مرات عديدة:
- ألف مبروك يا حنفي، ألف مبروك . .
سهمت النظر إليه ثم أستكملت:
- عقبال الأبن البكر إن شاء الله.
- دعلنا إنتي بس.
- دا أنا هدعي عليكم طول عمري
أحمر وجه حنفي ونهرها:
- شكل يومك مش هيعدي على خير . .
اتجه ناحيتها، أمسك مِعصمها وهي تحاول الخلاص منه فَلَمْ تَقدر، صفعته على وجهه باليد الحرة، وقف مذهولًا ،وضع كفه على مَكان الصفعة، يتذكرداوود التفاصيل كأنها تحدث الأن أمام عينيه . .
كان في غرفة النوم، سَمع ما يحدث. كان في حالة تَيقظ، وارب الباب وشاهد ما تم مِن شجار، عمه حنفي وهو يَنهال عليها ضربًا وأتعدت هي الأخرى عليه، جذّبها حنفي مِن ضفائر شعرها وجرها لخارج المنزل بعدما فتح الباب، حاولت التملص ودفعته للوراء فهجم عليها بِكف يده لاطمًا وجهها بقوة جعلتها تَرتدّ للخلف وتقع مِن فوق ترابزين سُلم الدور الثالث على بَلاط الفناء فتهشمت رأسها وماتت في الحال.

* * *

قام الطبيب مِن على الكرسي بِخَوف عندما لمح في عين داوود نظرات

عدوانية . .

- اتفضل يا داوود أقعد.

اقترب داوود وهو يدقق النظر في ملامح الطبيب التي بدت لهُ كملامح عمه حنفي والدم يغلي في عروقه، وفي تلك الأثناء تَذكر تلك الحادثة القديمة، شاهد الذكرى الآليمة كأنما يرى إعادة فيلم قديم، نزل طرف عين داوود على المكتب فلمح الحقنة الفارغة، أخذها ونحاها جانبًا وهو يرفع مقبض الحقنة ليملئها بالهواء، وهم مقتربًا مِن الطبيب الذي كاد أن يطلق صرخة، لولا هجوم داوود، كمم فمه ودب الحقنة بعنف في عنقه الذي أنتفضت أوردته، تَشنج جَسد الطبيب قَبل أن يتهاوى على الأرض بَعنـف وداوود يـقول بملامح الشر التي طفت على وجهه . .

- دا جَزاء اللي يقتل مراته . .

(٤)

كان الخواجة لوران أحد الأجانب اليونانيين الذين لَمْ يهاجروا مِن مصر، كان يَمتلِك في ريعان شبابه مَحل خِمور بِجَانب مَصنع صَغير للفافات التبغّ، تلك المهنة التي ورثها عن والده رحمة الله عليه، والتي ورثها جميع اليونانيين مِن رجل الأعمال اليوناني نستور جاناكليس، الذي أسس مصنع للخمور في الدلتا، كما أن اليونانيين كان لهم النصيب الأكبر في امتلاك صناعة الخمور في مصر، ومنطقة الأزبكية في القاهرة بها الجزء الأكبر مِن معامل تصنيع الكحول في تلك الفترة.

كان المَحل يتوافد عليه الجُند البريطانيين والعوام في ظل استحواذ البريطانيين على جميع الجهات الحكومية والمناصّب العُليا، غير الأملاك والبيوت ذات الطابع الأوربي والبارات والمحال المُختلفة.

ولد الخواجة لوران في شهر فبراير في مدينة (سالونيك) لرَجُل أعمال شهير يدعى جورج موستاكي، قد أهدر جميع نقوده وتسبب ذلك في طلّاقه مِن والدته، التي كانت تَحمل الجنسية الإسكتلندية، إضافة إلى ذلك الخمور والنساء التي جعلت أخر أيامه نكسة مَقيتة، فنزل إلى مصر بادئًا حياته مِن جديد، حتى فَتح شَركة صغيرة لبيع لفافات التبغ، لكن وكما هو الحال ومِثلما يقول المثل الشهير (مَن شبّ على شيء شاب عليه)، فسرعان ما رجع لسابق عهده، وخَسر جميع أمواله بسبب لعب القمار مع الأصدقاء في غياهب الليل وإحتساء الخمور، والسهر في البارات حتى مطّلع الفجر،

والنزوات مع الحسناوات ،اللاتي نفضن جيوبه وسرقن ما تبقى له مِن أموال وساعات وسلاسل وخواتم ذَهبية لمركات عالمية قبل أن يموت تاركًا الصغير لوران وحيدًا.

كَبر الصغير أثناء مكثه في مصر، تزوج مِن فتاة فقيرة سورية، ذات أصول أرمينية، تُسمى كوهار، قد جاءت إلى مصر مع الأعداد الغفيرة التي وصلت إلى مصر وتمركزوا في محافظتي القاهرة والأسكندرية، وذلك بَفضل العلاقة الوطيدة التي عاشتها الجمهورية العربية المتحدة، وهي ما عرف بالوحدة المصرية - السورية.

كانت فتاة بوجه يشبه الياسمين، ذات بشرة بيضاء ناصعة تَميل إلى الجمال الأوروبي، كما كانت وجنتاها محمرتين مطعمة بِنقاط مِن النمش البُني زين وجهها، وعيون واسعة تَحمِل الأمل والألم، وأسنان بيضاء ناصعة متراصة، كعادة عملها تَحمل لقب آخر مزيفًا بدلًا مِن اسمها الحقيقي (خديجة)، تلك هي العادة ؛التي تجعل الفتيات اللاتي يَعـملن في البارات أن يَحملن أسماء حَركية غير الأسـماء الحقيـقية.

وَجَدها الخواجة لوران بين زجاجات النبيذ والبيرة والمشروبات المقطرة في أحد البارات، تتبختر في مشيتها، وهي تُداعب خصلات شعرها الأصفر بيدها لتخلفهما وراء عنقها النحيل، ومُنذ أن وَقع بَصر الخواجة عليها في البار وهو يتلهف شوقًا على الزفر بإستنشاق رائحة شعرها، وهي تضع أمامه كؤوس الخمر، ويوميًا بعدما يَفرغ مِن عمله يذهب إلى البار تقترب منهُ وتقول بدلال:

- تَحب كاس؟

- لأ خبك إنت يا خبيبي . .

وما أن يقول بلهجة عربية متكسرة حتى تَتلجلج الصالة بصوت ضحكة رنانة تَنطلق مِن حنجرتها مُخلفة ورائها كم كبير مِن الزبائن يَرمون أطراف عَيونَهم للطاولة، وعلى الرغم مِن عيون الخواجة الزرقاء الأوروبية الموروثة مِن الأب، وشَعره الناعم المتدلي الملامس لِشَحمة أذنيه الطرية، وقامته المتوسطة، ومنكبيه العريضين، إلا أن التمنع المتصنع مِن ناحيتها قد جعله يَتضايق ويَنفر مِن كونها تَحمل عليه عبء لَمْيرى مِثله مَثيل، فهو وبفضل سَحر العيون الزرقاء التى كانت تجعل النساء خاضعات تحت طوعه، كإنهُ يأسرهن وسط عينه الجميلة وطباعه ونقوده ونفوذه، فَلَمْ تَكُن تجرُؤ امرأة، ولو لمرة أن تَرفض طلب أو تصطنع، ولو فعلت لكان النفور منها بلا رجعة حليفًا لها، وعلى الرغم مِن شخصيته الرصينة، وطباعه المغرورة، كانت شخصيته تَضيع هباءً أمام تلك الفتاة، التي ألهبت عقله وقلبه، ولَمْ يقوى على النفور منها وعدم المضي نحوها رغم التصدي مِن ناحيتها، ولو فعل عاقدًا العزم بعدم التقرب منها فسريعًا ما كان يَرجع لأشواقه أمام قوامها الرشيق وعناده العنيف، الميزة أن تلك الفتاة ليست في مخيلته مثل النساء أجمعين، فتاة صعبة لا تَرضخ لأحد فقط تَفعل المطلوب بما يرضي صَاحب العمل الذي يسعى جاهدًا في الزفر بها لكن هيهات، تَفعل ما يُطلب منها بحرفية وهو سَيل لُعاب الزبائن، وجعلهم يطلبون المزيد مِن الخمر، والمكوث أطول فترة في البار دون أن يَمسو شعرة منها مقابل نقود تأخذها لتنفق على نفسها، وخلال فترة عملها في البار لَمْ يتجرأ أحد بوضع يده على مناطق محظورة، ولو فعل أحد تَطلق شرار مِن عينيها وتُطلق سباب كما تُطلق إنذارات تَحذير بوجود أحد تعدى باللمس على قطعة أثرية في متحف.

يَعرفها كل زوار بار (سليمان) مِن مُحبي الشراب ويعرفون طباعها، فضلًا أن البار يزاول النشاط بِشَكل قانوني وتصريح رسمي مِن الجهات المعنية.

* * *

اليوم السبت.

عبر الخواجة باب البار مِن أمام رجُلين ضَخمين يقفان على الباب، نزل السلم السابح في الظلام الثقيل الذي يقود إلى البار، ووَقف يَستطلع الوجوه عَلهُ يَجدها وسط تلك الضحكات العالية والنسوة العاريات، اللاتي يُظهرن بياض سيقانهم مِن أسفل الركبة والعظام التي تأخذ شكل القوس الساكنة فوق مفرق الأثداء، دقائق لَمْ يَدرِ كيف مرت وهو واقف مكانه.

هم بالجلوس مُقابل الساقي بعدما تردد في خطواته حتى وصل، اقتربت الفتاة بمحاذاته عندما لمحته وهي تَمد يدها بكأس خمر بولناكي:

- كاس ؟

نظر متفحصًا وجهها ثم سأل:

- شنو اسمك خبيبي؟

قالت بتَغنَّج وتلو:

- خديجة .

قال الخواجة مستغربًا:

- عجيب.

- شو العجيب ؟

- قالولي أسمك كوهار.

- ومادام أنتَ بِتعرف ليش تسأل خواجة؟

رمق دَلاَلها، لفت حول كرسيه ثم قالت وهي تعقد خُصلات شعرها حول

أصابعها:
- تسمح أقعد؟
- ما انتي قعدتي خبيبي.
- حساك شبه المصريين خواجة . .
سكتت لبرهة ثم أتمت:
- كوهار اسمي يا خواجة، مِن سوريا وما إلي حَدا يسأل عني ،بعد ما ماتت عائلتي .
أطرق لها الخواجة فترة، وأرتسمت شبح أبتسامة ممزوجة بحزن على وجهه، لعلّ كان وراء الإبتسامة مغزى، أشعل طرف لفافة تبغ بِقداحته، ونفث دخانها الكثيف في الهواء، وباليد الأخرى راح يَحتسي كأس مِن الخمر، وأطرق مُستمعًا لها بعدما أستبد به الثمل مِن كثرة الشراب وأصبحت رأسه كأرجوحة تذهب وتجيء:
- كَم سنك خديجة؟
- عشر وعشره .
- وأنتَ؟
رَشف رشفة مِن الكأس:
- كِبير .
وضعت سبابتها على أنفه المُدبب:
- لهيك الدرجة!
قالتها فسهم الخواجة لها، استنشق مِن لفافته نفسًا أعقبه رشفة مِن الكأس حابسًا الدخان في جسده، ثم قال مَثل إنجليزي بلكنة إنجِليزية رصينة:
- The life without wife like fifty without five-

(الحياة بدون زوجة مثل الخمسين بلا خمسة)
غلف الصمت المكان كما يعم الضباب في السماء، وهزت خديجة رأسها بما يُفيد علامة الفهم فقالت:
- أنت كِل يوم بِتَخت واحدة يا خواجة .
قالتها فقام وعدل مِن هندامه، دس يده في جيب سرواله الغامق مُلتقطاً نقودًا وجهها إليها فأمتنعت قائلة:
- كَتر خيرك مَستورة كِيف عَم بيقولها المصريين.
هز الخواجة رأسه، مضى تاركًا خديجة تتبع خطواته بطرف عينيها، ظلت تتأمل تعرجه بين حَشد الشخوص المُترنحين يمينًا ويسارًا، والغارقين في السكر والمجون، كأنه مشهد تشاهده في أحد الأفلام، أنطفأت جميع الأنوار، ساد الظلام، تلك اللحظة التي لَمْ تنسها قطّ شدة تأثره بها عندما لمح وقفتها، أستدار فجأة، نظر لها بإنكسار، تهاوى على الأرض، ارتطم جسده بقوة على المسرح ثم عاد كل شيء للحراك، الأضواء أُنيرت مِن جديد بألوان مُختلفة، اللهو عاد لسابق عهده، أصوات الكؤوس المتصادمة يتخللها ضَحكات عالية رَنَّانة والموسيقى الصاخبة، المكان كما في المعتاد يَتحول عند هبوط الليل لمساحة مِن الرقص على الإيقاع الموسيقي، وعند لحظة الأرتطام هبت مِن مكانها إليه، جثت بجانبه بينما حاول الأرتكاز على كَتفيها مُستندًا حتى حمام البار، وما أن دلف باب الحمام حتى ركع على ركبتيه، وتقيء بواقي أكلات مختلفة، غير مياه الخمور وعصارة صفراء في عين المرحاض، كأنه يلقي بسهم لعبة الدارتيس، وعقب ذلك ظل لمدة دقيقة يكح ويبصق بشدة، قام واتجه ناحية الحوض، تَرك رأسه لخديجة ففركتها تحت تدفق مياة الصنبور، مَسحت لهُ بمناديل التقطتها بأناملها الصغيرة، وبعد الإنتهاء

لمح عبوس وجهها، وشفتيها المُرتعشتان أقترب منها، أغمضتّ عينيها، وقبل أن يَلثم فمها المُكتنز ويلعق رحيقها الشافي، أنتُزعت مِن تنويمها المغناطيسي كما لو إنها صعقت بواسطة الكهرباء، تَركت المنديل في يده قالت وهي تُجمع بعض الحروف بإرتباك:

- راح أروح الصالة مِشان ما حدا يلحظ شي.

أمسك مرفقها:

- عايز أقابلك بعد ما تخَلص شغل.

هزت رأسها بإرتباك ومضت.

ظلت علاقة الخواجة مضطربة لفترة طويلة مِن الشد والجذب، حتي لانت ووافقت على عَرض الزواج.

في البداية، قبل الزواج، كانت أطماع الخواجة قضاء ليلة حمراء على السرير ليتناقشا عن أوضاع العالم الحديثة، أو لعله يَحكي لها عن الميثولوجيا الإغريقية، يَقص لها عن أفروديت إلهة الحب والجمال، أو حتى عن ديونيسيوس إلهة الخمر الذي يقدسه، ويحتفظ بتمثال مَنحوت وعاري تمامًا مِن الأسفل، مُستندًا على جِزع شجرة ويقدم ركبة عن الأخرى، ويَمسك رسالة بيده الآخرى بينما شعره مُلتف وتزحف أذياله على حلمتي ثدييه، وفي النهاية يَختم الليلة عندما يَستعمل الفونغراف ليبث الموسيقى عن طريق أبولو إله الفنون بما فيها الموسيقى والشعر، لكن كوهار أو خديجة أصرت على الزواج.

شَهِدَ فريد على زواجهما، وبَعد سنة مِن الزواج، وضعت خديجة مولود باهر الجمال نتيجة لأختلاط عيون الخواجة الزرقاء مع نمش وبياض خديجة.

طفل جميل بحق، عيون واسعة زرقاء مثل عيون أبيه، وبياض ناصع مثل

-زأمه، وَوجه دائري، يتخفى خلف أذنه الصغيرة حُلي محفور عليه حرب - ، وعنقه تُزينه عقد ذهبي يتدلى منه نفس الحرف ابتاعه الخواجة فرحًا بمولده، أما فريد المصري صديق الخواجة الوحيد الذي وضع الخواجة فيه جُل ثقته، كان صديقًا حميميًا وشَغل مكانة كبيرة في قلب الخواجة.

تدهورت أحوال الخواجة بسبب الأزمة التي جعلته يبيع جميع مُمتلكاته، بعدما تعرض للنصب مِن شريك أوهمه بالشراكة وكسب أموال طائلة ليست لها حدود، ونصب ثم هرب بفعلته خارج البلاد، غير شراء الخواجة لبعض الأسهم والمُشاركة في البورصة، والنكسة التي جعلت أمواله في الحضيض، وبما أن الصدمات لا تأتي فُرادى تلقى الخواجة الضربة القاضية مِن خديجة، التي لعبت دور المُلاكم الجسور على حلبة المُلاكمة، وهربها إلى بلد مجهول لا يعلمه إلا الله مع عشيق، اكتشف الخواجة سرهما مُتأخرًا بعدما هاجرا مِن مصر تاركة ورائها رسالة قالت فيها أخر كلماتها.

- أنا تِعبت وأنقهرت كتير لأنو طول الوقت ضليت واقفه جنبك. . وكنت دايما سند لألك ولمصاريك أنا آسفه كتير عَلى هالشي لِي بِدي أعملو إِني أهرب ها أحسن حَل لألي. . مَارَاح أستَحِمل شوفك نايم بِتَخت وحده غيري . . كُنت كتير تنام برا لبيت وأنا مِتأكده إِنك تكون مع شي بنت مِن البنات الحلوين كُلّ الأيام إلى نِمت فيهن برا البيت كنت بعرف إنك مع شي بنت مِن البنات الحلوين عَ تَختها وتاركني بلعتمه وبأحلامي وكوابيسي ليعم تنهش الشي لي ضَل مني. . كنت دايمًا تَحسسني إني عشيقتك مو مرَتك إلى عَندك ولد منها وكمان مَا عم أقدر إني قارن فَرق العمر بيناتنا أنتَرَجُل كبير بهالعمر وأنا صَبية بِ بزهرة شبابي ما تَحملت كل هالمسؤوليه لصغر عمري وكلو كوم وانت زدت الطين بله إنو ماعم تقدر مشاعري هي

كوم تاني وماكنت ألي الرجل لي بَحلم فيه دايمًا . .
بعتذر منك مو لأني هربت، لأني وافقت مِن الأساس عَ زواجي الفاشل منك . . مع إنك أنتَ إلى كُنت تجبرني إني أتزوجك بكل الطرق . . بَتعرف أنو الأوقات الحلوة بتتنسى مو مَتل الأوقات القاسية والصعبه بتنحفر حفر بقلوبنا وما ممكن اي شي يمحيها من عقلنا .
أنا نسيت عيونك اللي عم يطلعو ع جسمي. . نسيت أنك كنت تطلب مني إني أسكبلك الخمر. . ونسيت دلالي عليك والمصاري إلي كنت تعطيني ياها. . وباقات الورد لي ضلك تهديني ياها مع الكلام الحلو. . بس عَمّ أتذكر أنك تَركتني بتختي التعيس لحالي وما معي غير وحدتي كنت أطلع ع النجوم بلسما وأحكي مع صور لمعلئه عالحيطان غرفتي بكل مكان . بلكي بلاقي حدا يبعدني مِن هالمكان الاسود والعتمة الموحشة. . حدا يخلي النهار فورًا يتلاشى ويبين. . وهون بتكون أنتَ اِجيت وبتنزل فورًا ع تختك مِتل الميت. . أنا بشكر الوقت لي قضيتو معك بترجاك تركني ولا دور عليّ بـأي مَطرح، تركني بحالي مِتل ماتركتك بحالك مع البنات لحلوين إذا اجا يوم وتذكرتني تذكرني بلخير وأخر شي بدي قلك ياه أنو تركت ولدنا جاكوب ليتربى بِحضنك لان بعرف اديش بتحبو انت . لاتحكيلو عني الا بالخير وقلو أن أمو ماتت وهي بـِ احضان السما هلأ- .

(٥)

المسافة بين مَنزل مسعد وقِسم الشرطة الذي يَعمل بين جدرانه كبيرة، لكن ليس بالبعد الذي يجعله يمقت كونه ضابط شرطة ذو نفوذ وقوة لا يستعملها بغرور إلا في أضيق الحالات، ورغم ذلك النفوذ الذي يَتمتع به أبناء جيله مِن قوة واستِعلاء، كَون وقتذاك الإلتحاق بِكلية الشرطة والتَخرج منها يُعد أحد الإنجازات البشرية، التي يتمناها كل أب وأم يَسعون جاهدين نَحو زَجْ أبنائهم في الكليات العسكرية؛ بسبب السُلطة التي مُنحت لهم بعد إنقلاب عَسكري مِن قَادة ضُباط الجيش المصري، الذين أسسوا (الضباط الأحرار)، ضدّ الملك فاروق، بمشاركة العديد مِن الشخصيات القيادية في التنظيم، وتم القبول مِن ناحية الشعب بِمزايا قد أقرها مَجلس قيادة الثورة، كتثبيت أقدام الفلاحين بَعد القضاء على نظام الإقطاع.

وقد جاء مِن خلال مَجموعة مِن القوانين والقرارات أبرزها الإصلاح الزراعي، الذي جَعل الفلاحين مالكين للأراضي بعدما حَدد الملكية الزراعية، وأتاح لأبناء الفقراء التعليم المجاني، فأصبح منهم المهندسون والمدرسون والقضاة وضباط الشرطة والجيش، بعدما كانت تلك الوظائف لفئة مُعينة، فضلًا عن أن التعليم كان حكرًا على الأغنياء، فَنزع البدل السوداء للقضاء على سَيطرة رأس المال، وتثبيت جمال عبد الناصر لفكر ونفوذ السُلطة العسكرية والمزايا التي جَعلت الكل يتبناها ويتفاخر كونه يَمتثل للكليات والموؤسسات العسكرية، غارسًا عيدان الدولة العسكرية والقضاء على

الملكية في الجمهورية المصرية العربية.
كان السبب في قَبول وإقناع مسعد لدخول كلية الشرطة هو خاله مَدكور السعداوي، الذي بدوره أقنع والد مسعد المُنصاع لآراءه، كونه الأخ الكبير، بوجوب دخول الابن كلية الشرطة، وأيضًا الحكايات التي قصها على مسعد عندما كان في الثانوية العامة، ففي أحد الأيام وفي حضرة والد مسعد قال مدكور:
- نَفسك في إيه يا مسعد لو جبت مجموع في ثانوي، حددت مصيرك ولا سايبها على ربنا؟
- الحقيقة يا خالي في دماغي كلية معينة . .
نَظر إليه وهو يحثه على المواصلة:
- جميل . . إيه هي؟
- الحقوق إن شاء الله .
رَفع مدكور حاجبيه واستطرد:
- أشمعنه الحقوق يا مسعد ؟
- بِحب القانون جدًا يا خالي، نفسي أكون أفوكاتو كبير .
- حاجة حلوة أنك تحب القانون يابني.
توقف عن الكلام قبل أن يَسترسل مُستكملًا:
- بس هو القانون مبيتمارسش غير بالمحاماة ولا إيه؟!
- فاهم قصدك يا خالي بـ . . .
قاطعه مدكور:
- أسمعني يا مسعد، أنت لسه شاب متدراش بالدنيا، ومش عارف الطريق الصح فين، وغير كدا القانون مش مقتصر على المحامين يعني .

فكر مسعد قليلًا ثم قال:
- بس أنا القانون صراحة مش نفسي أمارسه إلا عـ . .
قاطعه مدكور ثانيةً:
- لا نفسك ولا منفسكش، منتا عندك جيرانك أهم، منصور الأفوكاتو وحسين، مصر أتملت منهم، وبعدين صحح كلامك وقول إنك عايز تقف ضد القانون أما تكون أفوكاتو مش زي ما تكون ظابط و تَحمي القانون، إياك فاكر أن المحاميين اللي في البلد شُرفة لا، المحامي مِن دول بيبيع نص مادة القانون في سبيل الفلوس، وبيدعبس عن أي خرم عشان يطلع الحرام بريء.
تحجر لسان مسعد، بينما أستكمل مدكور:
- عارف يا مسعد . .
ثابر مسعد على الصمت:
- أنا عارف حُبك للحاجة اللي بتعملها، بس كوني شايف المستقبل أكتر منك بِحكم خبرتي، يخليني أرشدك للصح لأن أنتَ أبني اللي مخلفتوش، ودفاعك عن البلد وإمتثالك لكلية الشرطة هيكون شرف يا بني وتكمل المسيرة .
قال مدكور داسًا الكلام في عقل مسعد كما لو إنه يَحشر الطعام في فم بِطة، فعارض مسعد كلامه حينما قال:
- بس الدفاع عن الوطن ميلزمش أكون ضابط شرطة، أنا ممكن أخدم البلد في مجال تاني .
ساد الصمت لفترة تبادلت النظرات ثم استطرد مدكور مطأطأً:
- فاكر ومش هنسى، نفس عنادي وأنا شاب زيك، كنت زيك كدا كاره مهنة الشرطة، لغاية ما شوفت ضابط طلّع مِن وسطينا كان أسمه النقيب مصطفى رفعت قال (لن تتسلمونا إلا جثثًا هامدة)، ساعتها بس حسيت

إني ملزوم بدور لازم أعمله .
نظر مدكور لوالد مسعد:
- كُنت ساعتها ضابط شاب لسه صغير في الإسماعيلية في مبنى البستان (مبنى مديرية الأمن حاليًا)، كنت قرفان مِن الخدمة للوطن والكلام الذي منه، المهم . . كُلنا اتفزعنا على صوت طلاقات رصاص، ومدافع دبابات كان الكلام دا الصبح، حوالي الساعة سبعة، يوم ٢٥ يناير ،١٩٥٢ التاريخ دا هيفضل على بالي، مش هنساه أبدًا
أصبحت ملامح مدكور جامدة وأتم كلامه وهو يلوح بيده بإنفعال:
- كنا بنحارب أقوى المدافع والأسلحة البريطانية الجبارة ببنادق (لي إنفيلد) القديمة، ورغم كدا فضلنا صامدين لغاية ما راح مننا ٥٦ شهيد. .
فقد مدكور النطق لثوان، أنتفضت عروق وجهه وأستطلع وجوه الحاضرين ثم أردف:
- الإنجليز خونة وأضعف ما يكون.
أقتنع بكلامه وعدل عن دخول كلية الحقوق، رغبة الخال المُبيتة قد جعلت مسعد يتقدم لكلية الشرطة وتم قبوله، تَخرج، وعمل في قسم شرطة مصر القديمة.
تَسرب داخل مسعد كِبرياء أكتسبه مِن مهنته، وظهر أيضًا مِن ملابسه المُنتقاه بعناية، ومن نوع سجائره الفَاخر ونظارته السوداء الحاجبة للشمس ماركة (وايفارير)، يَتمتع بِجَسد مُتكامل، متوسط الطول، ذو ساقان مثبتان في الأرض كالمسلات الفرعونية، يتحرك بإنتظام ووقار، وعين تَختفي وراء نظارة سوداء كاشفة الجمع مِن حوله، وحاجبة عين واسعة جاحظة طوال الوقت، فم نخر أسنانه السوس بسبب عدم العناية والأهتمام، وأسنان

جيرية مِن كثرة نفث دخان السجائر، وشعر برزت به خُصلات بيضاء رغم صغر سنه، جعلته يحلق شعر رأسه عـ (زيرو) كلما نبت، فيصبح منظره كالكاهن أقرب مِن أن يكون شابًا في مقتبل العمر، مازَال شابًا يافعًا غير متزوج، ولا يفكر مطلقًا في الزواج، وهو الشيء الوحيد الذي عارض فيه والده وخاله مُستمِيتًا على القرار الذي اتخذه ولو لبعض السنين، في مُعظم الأحيان يستخدم سيارته الخاصة، التي دفع لها أخر قسط مِن راتب الشهر المنصرم حتى يَصل لمقر العمل.

في قسم الشرطة يعرف بأنه ذو نسب عالٍ، قد جعل الجميع يجلون الأحترام المبالغ كونه أبن مدكور باشا المُتقاعد حاليًا.

* * *

يوم الأحد.

كان الخواجة معربدًا، يَمشي في أول النهار بين الطُرقات، المحلات مغلقة في هذا الوقت، وهناك مَنْ يبدأ يومه في وقت مبكر سعيًا وحثًا على الرزق، عَكس المومسات اللاتي يَتسكعن في الطريق بعد قضاء وقتهن في البارات والمنازل المشبوهة، أما الخواجة يَترنح في الشوارع ويتجشأ روائح الخمرالذي غزا جسده وأختلط بدمائه، لَمْ يَكُن يروق مزاج الخواجة لو كان اليوم خاليًا مِن الخمر لا يُعد اليوم الذي لا ينخرط الخمر بجسده مِن سنين عمره، يبقي على نتيجة الحائط بنفس اليوم ولا يقوم بتمزيق الورقة حتى لا يحتسب يوم جديد، يَلعب دورًا هامًا في جعل ذهنه مُتماشيًا مع النكبات التي حدثت في حياته، يَنسى بها والده ووالدته، ويخرج صورة زوجته وابنه المُنتظر في المنزل.

عندما أصبح على مَقربة مِن الوصول، وقف بصعوبة مِن شدة الثمل

والتعب الذي هده؛ ليشتري علبة سجائر مِن أحد الأكشاك، وَضَع يده في جيبه والتقط كومة أموال حاسب بها الرجل، وخلفه وراء ظهره دون معرفة إن كان لهُ باقي أموال أم لا، انحدر إلى منزله في الصباح، فوجد جاكوب يَجلس بجانب فريد على طاولة الطعام، وعلى ظَهر جاكوب حقيبة مدرسية وزي مدرسي، أشتراه فريد عندما اصطحب جاكوب بالأمس إلى أحد المَحَال التجارية.

أقترب الخواجة، جَلس بجانبهما دون أن ينبس بكلمة، فقال فريد:

- النهارده أول يوم لجاكوب في المدرسة يا لوران.

كانت عينا الخواجة عابسة ونظراته مستغرقة حدّ التأمل في هيئة جاكوب، مجرد اللقاء به يذكره بما مضى فيهيج عليه الماضي، يقلب الذكريات في عقله، يذكره كم كان مغفلًا عندما سَمح لنفسه أن يَضع فتاة جلبها مِن بَار بين أحضانه شرعًا، ولِمَ لَمْ يجعلها كمثل عشيقاته؟ يُأنب نفسه ويطرح التساؤلات، كيف فكر ولو للحظة أن يَجعل مومس زوجة شرعية؟

ألمْ يعلم إنهُ أُعجب بها في بار يتم أصطياد الداعرات فيه !، كيف وهو مَن جعل الفتيات يلهثن خلفه كي ينلن الرضا؟ اعتقد في قرارة نفسه إنه لو كان قدم لها قدرًا كافيًا مِن النقود، أو فَتح لها حَساب بنكي، لكانت انصاعت دون أن يَتخذها كشريكة، لكن ورغم كل ذلك ضَحك ضحكة بلهاء ولَمْ يَنطق، و بدون أن يجيب أشاح وجهه وهو يواري عينيه وأخذ علبة الثقاب الموضوعة على الطاولة، أخذ سيجارة قام بإشعال طرفها مستنشقًا نفسًا أزاح صداع عقله المزمن، نفث دخانها مكونًا سحابة كثيفة مِن الدخان في الهواء.

- يلا بينا يا جاكوب عشان مش نتأخر .

قالها فريد لجاكوب الشارد هو الآخر في وجه أبيه، فقبض على يَد جاكوب

وهو يقول موجهًا الحديث للخواجة:
- متشربش تاني عشان عايزك فايق، عايزك في موضوع .
رد لوران بأصبعه بِعلامة (أن يقول الآن) فردد فريد:
- لا، أما أرجّع تكون فوقت .
- بالعكس فريد.
تجشأ الخواجة بِشدة وأتم:
- الخواجة مِش كون في وعيه إلا وهو اِيشرب.
إستعاد فريد ابتسامة ساخرة وقال:
- هسيبك دلوقتي وأما أرجع هكلمك .
هز رأسه بعدم أهتمام ثم قال:
- جاكوب.
نَظر الطفل، فأشار الخواجة بيديه مرات بما يفيد أن يأتي وحرك شفتيه المرتعشتين قائلًا:
- تعالّ .
حَدجه بِنظرة أستغراب، أتجه نحو الخواجة الذي مَد يديه بأموال ثم وضع قبلة على جبينه، فقال الطفل:
- شُكرًا.
نَظر إلى فريد بعينين تكاثفت عليهما الهالات السوداء، وقال دون أن ينبس ببنت شفه، قال بلغة العيون (ضع الولد في عينيك)، فبادله باللغة نفسها مُضيافًا عليها هزة بسيطة مِن رأسه ومضى مع الطفل، رغم علم الخواجة لوران إن فريد مصري، فقير، بائس، لِص، لا يَحتاج لشيء في اليوم أكثرمِن أموال يَجلب بها لفافات تبغ وزجاجة شامبانيا، إلا أن الخواجة أئتمن فريد

على جاكوب، وذلك لشدة قرب فريد بسبب المدة الطويلة التي قضاها بصحبته عندما تقابلا أول مَرة في أحد البارات، في ذلك اليوم سَقط الخواجة مغشيًا عليه، وعندما أفاق كان فريد أول مَن شاهده الخواجة عندما فتح عينه، تَحسس على يده ليجد الساعة الذهبية السويسرية مكانها، وهذا مِن حسن حظ الخواجة، وليس كرم مِن فريد الذي لم يلحظ الساعة التي كانت مختفية وراء كم المعطف، بالإضافة إلى ذلك وَجد فريد يقطر مياه مثلجة مِن قطعة قطن يضعها على جبين الخواجة العريض ليقلل نسبة الحُمى في جسده ، تلك هي الثقة التي ظل الخواجة بعدها يَشكر فريد عند كل مرة يقابله فيها في البارات، وحتى في الشارع الذي يقطن به فريد، والذي يَعبر مِن خلاله الخواجة للبار، وفيما بعد توطدت العلاقة فيما بينهما وعلم الخواجة إنه لص، لكن رغم ذلك أطمأن وأغدق عليه مِن بواقي أمواله الشحيحة، جعله في بادئ الأمر مِثل الخادم المطيع، الذي يجل كل حب لسيده ويهتم لأمره وينبهه للأمور ويبعد اللصوص الطامعين الذين بِغبائهم يظنون أنه ثري يَمتلك أموال طائلة، وبعد ذلك توطدت العلاقة أكثر فأكثر، وأصبح فريد كما لو أنه صديق للخواجة، وبالفعل أحب ذلك الطرفين، الخواجة الذي كن لهُ احترامًا وفريد الذي أدرك مَدى حب الخواجة ومَدى الثقة التي وضعها فيه، فلجأ فريد لمنزل الخواجة، يتسامران ويلعبان القمار مِن باب التسلية ليس إلا، ويتناقشان ويقصان كل شيء عن ماضيهما وحاضرهما، غير الإختبارات التي يضعها الخواجة، فتارة يترك أموال في المنزل، وتارة أخرى يَترك أشياء ذات قيمة، والمدهش إنهُ يرجع ليجد كل شيء كما هو ليثبت فريد إنه بالفعل لص لكن ليس ككل اللصوص، يأتي فريد مُنذ الصباح ويَعمل في المنزل، ينظف، يتبادل الحوار، يحتسي الشاي، يَطهو الطعام،

وذلك مقابل أموال يزج بها الخواجة في جيبه، وفي الليل يَصبحان كالأصدقاء بِحَق، يذهبان إلى النوادي، ويتسامران في البارات، وحتى النساء يتقاسماهن في الآسرة، حتى عرض الخواجة على فريد أن يَترك منزله ويأتي لقضاء باقي حياته في منزل الخواجة، خصوصًا إن فريد ليس متزوجًا، ومِن هُنا أصبح فريد ورسميًا مُشاركًا في منزل، يَمتلك غرفة لا تَختلف عن غرفة الخواجة لا في المساحة ولا حتى في الإهتمام، يأكلون مِن نفس الأكل، يشربون مِن نفس الشراب، ويدخنون نفس نوع السجائر، وَلَمْ يخف الخواجة عن فريد تلك الحكايات التي حدثت مُنذ مولده حتى اليوم الذي جاء فيه إلى مصر، فقص عن الماضي، وخيانة خديجة، وأموال والده التي ذهبت هباءً وطلاقه مِن أمه، وبدورها أنتقلت علاقة الحب إلى جاكوب أيضًا، وقد كان قدوم فريد إلى المنزل بِمَثابة المرح لجاكوب والعناية.

كانت عين افريد منبعجة، وشعره مَصبوغ أسود خالصًا، وبشرته خمرية تُحاكي سُمرة الشحاذين، قوامه عنيف، تبرز عضلات في أماكن مُتفرقة مِن جسده، وَعيب خلقي وحيد في أصابع يديه فعددهما أحد عَشر.

* * *

في الصباح البَاكر تَسربت الحركة للشارع كما تَسطع الشمس خَلف السحاب في السماء، عَج الطريق بالطلاب مِن مختلف الأعمار، منهم الذاهبون للمدارس وآخرون للجامعات، غير الموظفين والعاملين وأصحاب المَحال التجارية، الذين يسعون لكسب الرزق في ساعات النهار الأولى مِن اليوم، كان يَسير جاكوب بجانب فريد، وهو يَرتدي زي مدرسي أبيض، ويَحمل على كتفيه حقيبة سوداء، أعدها فريد ووضع جميع اللوازم المدرسية التي سوف يَحتاج لها مِن أقلام رصاص، ومسطرة، وممحاة قد

اشتراها منذ يومين مِن كشك عم سطوحي، غير ما وضع في الحقيبة مِن سندوتشات بأطعمة مُختلفة كالفول والفلافل، والجبن لتسد فراغ أحشائه عندما يَشعر بالجوع أثناء فترة المدرسة المُرهقة، وفي الطريق أخرج فريد حافظته وعَرض صورة قديمة للطفل:

- دي صورتي وأنا صغير أما كنت بروح المدرسة.

فَغَرَ جاكوب فَاهُ مُندهشًا:

- بس كلهم كبار أوي يا فريد.

- دي مرحلة الجامعة يا جاكوب.

سأل جاكوب ببلاهة:

- يعني إيه مرحلة الجامعة؟

أستغرق فريد مدة مِن التفكير:

- أما تكبر هتمرّ بين مراحل معينة لغاية ما توصل للجامعة.

هز جاكوب رأسه وظل يحدق للصورة بإعتناء ليحاول أن يَجد ملامح فريد مِن بين الأحد عشر طالبًا في الصورة، التي فيها فتيات وفتيان والتي بِالطبع قد تغيرت ملامحه كثيرًا، ويَحدث نفسه كم كان الطلاب آنذاك ضخام البنية بالنسبة لحداثة سنه الصغير، كما بدأ يَتخيل هيئته عندما يَكبر، ويَحن مَوعد ألتحاقه بالجامعة ليكون طالبًا فيها، وبدا مَنظر الحديقة مِن وراء الطلاب رائعًا فإزدهر في عينه المَنظر، وأخذ وقتًا يُجمع فيه تلك السعادة التي يعيشها الطُلاب، والتي سوف يَسعى إليها حتى يَصل لمرحلة تكون المدرسة بالنسبة له حدائق وجنات يَفعل فيها ما يحلّو لهُ، ولا يلتزم بواجب مدرسي كما قال الصبية الأكبر سنًا، كانت الصورة مُهترئة بِفَعل عوامل الزمن وممزقة مِن الطرف ومعالمها غير واضحة كُليًا، لا يزال فريد في الصورة

شابًا أنيقًا يافعًا، يَرتدي بنطال مصنوع مِن القماش وتيشرت لامست ياقته شحمة أذنه، يَحمل بين طياته كتب، ويجلس في منتصف حشد مِن الطلاب المُنقسمين إلى صَفين، صفواقف مِن الفتيات الأنيقات اللاتي ترتدين قمصان ناصعة البياض و(ميكرو جيب) لَمْ تصل طرفها للركبة، منهم مَن يَعقص شعره خَلف عنقه والأخريات ذوات شعر مقصوص يلامس جباههن ويعلو على محياهن ابتسامات تحسب كإنها صيحات مِن الضحك المفرط الممزوج ببعض الخجل، وصَف آخر يَجلس القرفصاء على عشب ناضر الخضرة عند سيقان صف الفتيات الواقفات، ويبدو على وجوههم السعادة والفرح وسط حديقة زخمة بالأشجار، رَاح الطفل يَستطلع الصورة بشغف، أدار أصابعه على وجوه الطلاب أجمعين، ثم قال بعدما لَمْ يَتعرف على وجه فريد بين الصف الجالس على العُشب في الصورة:

- وأنتَ فين يا فريد؟

- ركز كويس في الصورة.

دقق جاكوب النظر في الصورة مرة أخرى ثم أشار على طالب يَحمل دهون بَطن زائد عن الحد المعقول، ومنافي تمامًا لكون فريد الآن رفيع ولا يَمت للصورة بصلة:

- أنت دا؟

أمتقع وجه فريد وحرك رأسه يمينًا ويسارًا عدة مرات وهو يغمض عينيه بما يفيد (لا) ثم أشار الطفل إلى واحد آخر فقال فريد:

- لا برضو .

ثم أشار فريد بأصبعه إلى وَجه طالب يَجلس في آخر الصف السفلي وقال:

- أنا دا.

حَملق جاكوب في الصورة لفترة مِن الوقت قَبل أن يَستنزف فريد والطفل طاقتهما عندما وصلا إلى المدرسة، وقف فريد أمام باب المدرسة الحديدي الكبير الموصد وانحنى للولد وقال بصرامة:

- أما تخلص أوعى تتحرك مِن المدرسة، أستناني لغاية ما أجي أخدك، مفهوم.

اهتزت الدموع في عين جاكوب وقال:

- مفهوم، بس متتأخرش عليا، أنا خايف.

- متخفش يا بطل وأنا مش هتأخر عليك وهتلاقي جوة طلاب كتير زيك وهتلعب معاهم.

قالها ولامس فريد صدر الطفل ليبث فيه الطمأنينة قَبل أن يَضع قبلة على جبينه.

- هو بابا مش جيه يوصلني ليه يا فريد؟

نظر للطفل مليًا محاولاً أن يجمع بعض الكلمات ثم تفوه بِتَلعثم:

- بابا مشغول يا جاكوب، لو مكنش مشغول كان جي وصلـ . .

قاطعه جاكوب:

- بس بابا مش بيشتغل.

تخللت هبة من الرياح قطعت السكون الذي عَمَ كما تَفعل الرياح مع النباتات الفارعة السكينة ثم قال فريد بملامح ممتقعة تنم عن العتاب:

- مين قال لك كدا ؟!

صمت جاكوب قليلًا، أنتظر أن تَعود ملامح فريد لسابق عهدها:

- سمعتك بتقول كدا؟

تَضجر فريد مما قاله جاكوب:

- أمتى؟
تطلع الطفل لوجه فريد ثم وضع أصبعه على شفتيه وارتسمت علامات الأستذكار على وجهه قبل أنْ يقول:
- مِن يومين شوفتكم بتتكلمو مِن ورا الباب وأنت بتقول إنه لازم يشتغل معاك.
سكت الطفل لبرهة ثم أستطرد مستكملًا:
- هو هيشتغل معاك إيه؟
سقط الكلام مِن فريد سريعًا:
- عيب أنك تتصنت على كلامنا يا جاكوب، أخر مرة تعملها، وبابا بيشتغل بس. .
تلعثم ثم أسترسل :
- بس هو دلوقتي في فترة أجازة، زيك كدا هيكون ليك يوم أجازة .
قاطعه جاكوب:
- مش فاهم، أزاي؟
أطرق فريد مُفكرًا ثم أردف:
- هيكون ليك يوم أجازة يا عم مش تروح فيه المدرسة.
قال الطفل مؤكدًا كأنه يقول لفريد أن لا مفر مِن الكذب :
- بس بابا كل يوم في أجازة.
عجز لسان فريد عن النطق:
- نتكلم وقت تاني يا جاكوب ويلا عشان تلحق .
قالها ثم دَفع ظهر جاكوب بلطف، دلف جاكوب باب المدرسة مرغمًا حتى وصل إلى الفناء، تطلع إليه فريد عندما وقف في الصفوف الأمامية مِن

الطابور ويردد خلف الطلاب:

-يا شباب النصر . .

هذا علمكم الصاعد . .

يرفرف في سماء مصر . .

فحيوّ معايا هذا العلم . .

تحيا جمهورية مصر العربية. .

تحيا جمهورية مصر العربية. .

تحيا جمهورية مصر العربية-

تحت أشعة الشمس الحارقة وبإبتسامة أنفرجت شفتا فريد لها قال:

- مصري أصيل يعيبك بس إنك ابن يوناني.

* * *

بَعد سَاعات.

قَضى فريد الوقت بَيْن القهوة والسَير على الأقدام حتى تذكَر أمر جاكوب، ذهب وأخذ الولد مِن المدرسة وَرَجع بِصحبته إلى المنزل، دَخل إلى الخواجة الذي كان يَطمس شطيرة بالجبن على الطاولة، ترك جاكوب يذهب إلى غرفته ليبدل ملابسه، وأغلق الباب، أقترب فريد مِن الخواجة وقال:

- منفسكش تسمع أم كلثوم ولا إيه يا خواجة!

لَمْ يُبد الخواجة أهتمام، لجأ فريد للراديو المثبت فوق قطعة خشبية، ليروح عن نفسه وعن نفس الخواجة، فتح الراديو فكان على المَوعد مَع صَوت أم كلثوم وهي تَصَدَحَ:

- ودارت الأيـــــام . .

ومرت الأيـــــام . .

وهلّ الفجر بعد الهجر بلونه الوردي بيصبح -.

وبينما تصدح أم كلثوم قاطعها فريد:

- يا خواجة اسمع كلامي، فلوسك خلصت ومصاريف جاكوب بتزيد

ألتفت إليه الخواجة وقال:

- خد ساعة، خد شيميز، أي حاجة بيعها فريد، بس سرقة نو فريد سرقة نو.

قاطعه فريد:

- وبعد ما تبيع الساعة والحاجات القيمة اللي معاك يا خواجة هتجيب فلوس بعد كدا أزاي!

ود الخواجة لو أنه لَمْ يَعرف فريد:

- أنتَ عايز إيه فريد؟

أقترب فريد مِن أذن الخواجة وهمهم هامسًا:

- تعمل اللي قولتلك عليه.

تَملك الخواجة الغضب فقال مُستنكرًا بصوت رَفِيُع عَالٍ:

- السرقة نو فريد . .

رد فريد كَما لو إنهُ محلل أقتصادي:

- في مجالنا يا خواجة بِنسميها (إعادة توزيع الأموال والتركات) .

قال الخواجة متهكمًا بلغة عربية مُتكسرة:

- خواجة لوران ابن رَجُل أعمال شهير يقول له فريد أسرق. . !

- عشان تعيش يا خواجة

مَسك الخواجة عنق زجاجة الخمر وصرخ بغضب:

- طول ما أنا يَشرب أكون عايش فريد.

- بعد كدا مش هتلاقي تَمن اللي بتشربه .
قالها فريد فلاذ الخواجة بالصمت مُفكرًا في كلام فريد، تبدلت ملامح وجهه ما بين التفكير والحزن، وظل يَدور برأسه كأنهُ يقوم بعملية حسابية دقيقة، ثم قال بَعد فترة:
- موش صحيح، مش كلام مظبوط.
- لا مظبوط .
فكر لثوان ثم ردد:
- طب، أنا عايز أطلب مِنك حَاجة بس أنت مش تيضحك عليه وتوعيدني فريد.
تيقظ فريد واعتدل:
أتم الخواجة بيأس:
- مَرة واحد بس خواجة يسرق .
سَرت موجة أرتياح في نفس فريد عندما أحس أن الخواجة قد بدا على شفا حفرة مِن الموافقة فقال فريد مؤكدًا:
- مش هتتكرر.
صمت الخواجة ثم أبدى ملحوظة:
- ليه فريد مِش تِيسرق أنت لوحدك!
التوت شفتا فريد دلالةً على الإمتعاض فقال:
- يا خواجة دا منزل بعيد عن المساكن، ومفهوش غير راجل واحد بس اللي فيه وأكيد عاين فلوس كتير تكفينا لسنين ومحتاج مساعدتك.
- وليش ما تشوف واحد أيسرق غيري، واحد حرامي زيك يسرق معاك فريد.

زفر فريد في ضيق:
- هيقسمني في الفلوس وبعدين دا رزقنا إحنا .
نَهض الخواجة مِن على الكرسي وخطى بخطوات ناحية الشرفة، ظل شاردً مِن خلالها لبعض الوقت ثم حَرك شفتيه:
- ماشي .
اقترب فريد مِن الخواجة وربت على كتفه مِن الخلف.

* * *

بعد ساعات.
الخمر يَجعل للحياة قيمة، هكذا يَحسب في قرارة نفسه، يعالج حالته المزاجية بكأس، يَجعل عقله في وادٍ ثانٍ، لو أراد أن يَتذكر شيء فكر في الشيء، ثم تناول كأس مِن الخمر والعكس تمامًا، إذا أراد أن يتناسى أمرًا يَحثّ نَفسه على النسيان ثم يتجرع كأس مِن الخمر، لذلك تَجرع الخواجة زُجاجة شمبانيا قَبل أن يَتخفى بِمَعطف بني لَمْ يناسب حالة الجو الحارة، وعلى غير العادة لَمْ يَكُن للخمر مَفعول، محاولًا طَرد الأفكار عن ذهنه لكن بلا جدوى، وسرعَان ما تتهافت عليه مرة أخرى بعد كل كأس يتجرعه دَفعة واحدة، حتى ضَرب به الثمل وترأى لهُ شريط حياته كاملًا، زوجته ووالده وكل شيء، في هذا اليوم صَعب على الخواجة حاله وكَبح جِماح نفسه عن الأفكار التي تراوده، إجتاح صدره الهم، وأصبحت نفسه مستهانة في نظر نفسه، فكر أن ينتحر في تِلك اللحظة، أن يَشنق نفسه في تلك الغرفة، ليجعل فريد يَندم على هذا الإقتراح عندما يَدخل ويرى الخواجة مُعلقًا مِن عنقه، وحيال تلك الأفكار التى كَنفت رأس الخواجة والذي قَطعها فريد:
- يلا بينا يا خواجة .

ألتفت الخواجة إليه، ثم نَكس رأسه، أخرج صورة تَركتها خَديجة قبل هربها وتأملها بعين رقراقة، ثم وضعها مرة ثانية في جيب سرواله، بَسط الخواجة ذراعه، جذبه فريد وأستند عليه حتى دلف باب الخروج، كان الوقت يَسبق ساعات النهار الأولى، الهدوء مِن سمة الطَريق، فقط رياح خماسينية تَهب مِن وَقت لآخر حاملة أطنان مِن الرمال تَلطم الخواجة على وجهه ليفيق مِن سكراته، ويَذعن للأمر الواقع حاليًا، وفي شده حرارة الجوّ الجاف، كان الخواجة يسيرعلى حافة أراضٍ زراعية يترامى أمامها الهدف الذي حدده فريد قَبل ذلك، بعد دراسات عالية يَستحِق عليها درجة الماجستير والدكتوراة الفخرية لما قام به مِن جهود مضنية، لَمح فريد المنزل مِن بُعد فتوغل الإثنان في الأراضي الزراعية بين سنابل القمح الذهبية المتراقصة بِفَعل لَفح الرياح وأبَرها المدببة التي وخزت جلدهما، وقد كانا على مَقربة مِن الوصول بسيرهما الواهن قبل أن ينتبها لداوود وهو يَجر كيس قُماش مكور أبيض ملفوف كالكفن، تسمرا متهيبين ووارا رأسيهما بين السنابل ولاحت رؤية شحيحة بين العيدان لداوود الذي دلف باب المنزل، جرا أرجلهما حتى وقفا أمام باب الحديقة، تَقدم فريد دافعًا الباب ببطء ليمنع دوي صريره المُزعج؛حتى لا يكتشف أمرهما، تتبعه الخواجة فهمس فريد فى أذن الخواجة قائلًا:

- دق على الباب يا خواجة لغاية ما يفتح الباب، واشغله بأي حاجة أفتح معاه أي ح. . .

قاطعه:

- وأنتَ ؟

-. هكون هنا في الزاوية دي جمب الباب وأول ما يفتح ههجم عليه.

قالها وانزوى في الزاوية اليسرى مِن باب المنزل، تَقدم الخواجة وهو يَتوجس بخطى متخاذلة وئيدة، إنحدرت قطرات العرق مِن على جبينه وفاح الأدرينالين، استل سلسلة الصليب مِن جيب سرواله وقبض عليها بِعنف وهو يتمتم بشفتيه:

- -اَلرَّبُّ نُورِي وَخَلاَصِي مِمَّنْ أَخَافُ؟ الرَّبُّ حِصْنُ حَيَاتِي مِمَّنْ أَرْتَعِبُ؟ لأَنَّهُ يُخَبِّئُنِي فِي مَظَلَّتِهِ فِي يَوْمِ الشَّرِّ. يَسْتُرُنِي بِسِتْرِ خَيْمَتِهِ-.

ردد الجملة كثيرًا، جَعل يده كالقبضة، وفي جوفها السلسلة الصليبية، ثم امتص ريقه وأطلق تنهيدة وشرع في الدق.

ثلاث دقات ولَمْ يُفتح الباب.

وقَبل أن يَمد قبضة يده ليدق الرابعة تَسمر ذراعه عندما فُتح الباب بواسطة داوود، وقف محملقًا بعين مُتسائلة كعين الحبار العملاق، بَثت الرعب في نفس الخواجة التى كانت على حافه الهاوية، وقفا يتبادلان النظرات بدون أن ينبسا بكلمة، فقد الخواجة النطق رغم إتقانه الأنجليزية والعربية على حدٍ سواء، أصبح كمولود حديث العهد ضخم الجثة ولا يعرف لغة البشر، تعجب داوود مِن السكون وقبل أن يتفوه بكلمة تفاجأ بشخص يدفعه للداخل وينهال عليه باللكمات.

سَقط داوود على الأرض فجثا فريد فوقه، وقف الخواجة مذهولًا، مشتتًا، يحاول إستيعاب ما يحدث، تقدم إلى الصالة ورطم الباب خَلف ظهره، يَحرك داوود رأسه يمينًا ويسارًا محاولاً تفادي اللكمات المُبرحة،

تَملص داوود بعدما رَكل فريد بين ساقيه ،أخرج سكينًا حادًا يتلألأ في ظلام الصالة وفي أعين الحاضرين، ثم زَرَعَ السكين في بَطن الخواجة،

في تلك اللحظة مرت جميع الوجوه أمام الخواجة، وقف لبرهة متسع

الأحداق، وفاه مفتوح، ونظرات جامدة، ثم ارتطم بجانبه على الأرض، بعدما بهتت الصورة في عينيه، عتمت الحياة بالنسبة لهُ، واقفا مندهشين وخاصة داوود المولي ظهره لفريد، وقف متناسيًا أمر فريد القابع خلفه، لَمْ يَتذكر داوود أمر فريد الذي قام ببطء وبيده أحاط داوود وبالأخرى زَرَعَ السكين في بطنه، فأصبحت البطون أراضٍ دُست فيها السكاكين، وارتوت بالدماء المنسكبة منها.

تحرك فريد ناحية صديقه الذي فارق الحياة، وأغلق عينيه المفتوحتين على مصرعيهما، قَبل أن يكتشف سر يُضاهي اكتشاف هوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون، سر فتح بابًا مِن اللعنات التي لَمْ تغلق، وهيجت لعنة أوحَش مِن لعنة عصفور كارتر والعاملين في مقبرة توت عنخ آمون، بَحث فريد عن الأموال فَلَمْ يَجد شيء، دَخل أخر غرفة وهو يَمسحها بعينه، كانت خالية إلا مِن بعض الأثاث القديم المهترء، و برواز كبير معلق بِشَكل غريب، مسافة عشرون سنتيمترًا فقط مِن الأرض أزاحه جانبًا فظهر مكانه حائط كان يَستعد داوود أن يبنيه مُجددًا بواسطة الأسمنت، لمعت في ذهن فريد أن هذا مكان الأموال، رغم خوفة الشديد حتى لا يكتشف أحد أمر الجثث في الخارج.

ظَهر نَفق صَغير يفضي إلى غرفة صغيرة يتركها المهندسون في المنزل (مسقط)، تَعجب فريد مِن إخفائِها وَعَقد العزم على مِرور النفق المعتم الذي بلعه، وصلت لأنفه رائحة عطنة تخللت أنفه حتى وصل لتلك المساحة، كانت لهفة فريد برغم كل شيء عارمة، فحسب إنه قد اكتشف منجمًا للأطنان مِن الذهب الخالص، أو ماس سيقوم بإستخراجه مِن باطن الأرض، ظن أن طَاقة القدر فُتحت، وأقل تقدير أن يكون هذا المخبأ السري يستخدم

كخزينة ممتلئة بأكياس النقود والمجوهرات، كان يَسير في الممر المفضي في آخرهُ إلى حجرة أشبه بحجرة الدفن التي كانت تُستخدم مِن قِبَل الفراعنة في الأهرامات، زَحف حتى وصل وعيناه تستكشفان ما حوله في الممرّ لكن الظلام كاحل، أخرج علبة أعواد ثقاب وأشعل واحدًا فصدم مما رأى وكاد أن يجن، وجد نفسه محاصرًا في الغرفة .

كان المنظر مهيبًا، جعل حدقتيه تكادا أن تخرجا مِن محجريهما بجانب أرتخاء أعصابه وأرتعاش ساقيه بِفَعل الرائحة التي لا تُطاق، جثث تم غزوها عن طريق الحشرات التي فتت أحشائها وهَضمت نصف الجثث الأخرى، غير العظام الساكنة على الأرض، الرجْل، ثم الخصر، ثم القفص الصَدري، ثم الجمجمة بدون جلد ولا أعضاء، أصبح إبتلاع الريق مع مزيج الرائحة شيء في غاية القرف والأشمئزاز لفريد الذي تسارعت دقات قلبه مِن هول المنظر، هذا هو الكنز الثمين الذي كان في أنتظاره ! العظام الموجود هي الماس المستخرج مِن باطن الأرض، والجثث التي بكامل هيئتها ولَمْ تقرب لها الحشرات هي الذهب الخالص، هذا هو الأكتشاف الذي سيغير مجرى حياة فريد التعيسة، لهبت الخواطرعقله أثناء طريق العودة ،فإستشعر الخوف وأسرع مِن وقع أقدامه ورجع عن طريق النفق الصغير، ثم فكر مليًا في إخفاء جثة الخواجة وداوود بجانب إخوتهم الباقيين، فدفعهم ناحية الغرفة وألقى بهما دون رحمة في المكان نفسه، ولحسن الحظ وجد الأسمنت الذي كان يُستعمل مِن قبل وبواقي الحجارة التي هدمها، صنع معجون الأسمنت وراح يغلق الفوهة، وضع البرواز مكانه وأطلق ساقيه للريح وهو يتلفت برأسه يمينًا و يسارًا، يُحدث نفسه إنه يغط في النوم وجل تلك الأشياء مُجرد كابوس . .

يفكر بأنه سيعود إلى المنزل ليجد الخواجة جالس على الطاولة وأمامه زجاجة الخمر الخضراء المفضلة، والكأس الذي يَسكب فيه المشروب ويَتجرع منه حَد الثمالة، ساعتها لعن الأموال التي جعلت كل شيء أصبح كالسراب، وعندما عاد إلى المنزل، أغلق باب المنزل مستندًا برأسه وظهره على الباب، أمتقع وجه الطفل جاكوب الذي كان في إنتظاره فقال:

- مالك يا فريد؟

أنتزع فريد مِن أفكاره صوت الطفل الرخيم، فتح عينيه بصعوبة جراء الصداع الذي أجتاح رأسه، كان صداع حاد لَمْ يأته مِن قبل، أستشعر أن جميع الجثث التي رآها في الحجرة الموحشة تتكلم وتبث في رأسه كفحيح الأفاعي، أستشعر أن ملايين الذباب يَدور بداخل رأسه ويَصدر الطنين المُزعج، أو أن رأسه أصبحت كخلية يَدور بها النحل، حاول مِن أجل أن يكون أكثر تماسكًا أمام الطفل، فكر فيما سوف يقول عندما يسأل عن الخواجة، أيقول أن والده قَدْ قُتل؟

أم إنهُ قد سافر إلى الأخرة ولَنْ يَعُود !وهل سيتقبل الطفل تلك الإدعاءات ؟ خلال تلك المدة مِن التَفكير، كان الطفل يَقف محملقًا مُنتظرًا أن يجيب فريد الذي تَحامل وأستند على الباب وهم واقفًا، أقترب مِن الطفل الذي أستراب مِن سكون فريد غيرالمُعتاد، يَعلم أن فريد هو الشخص الوحيد الذي يتحدث معه طوال تلك السنين، بِعكس قلة حديث الخواجة مع الطفل بَلْ لَمْ يَكُن يَتكلم مِن الأساس، أحاط فريد بكلتا ذراعيه الطفل وأسند رأسه على كتفه وأنهمر في البكاء، ألتزم جاكوب الصمت لدقيقة ثم قال:

- في إيه يا فريد، مالك؟

أجاب دون أن يفكر:

- مفيش يا جاكوب .
أستعاد فريد وضعه مِن على كتف جاكوب وتأمل تفاصيل وجهه بدقة، ثم أمسك ذراعيه وردد ثانيةً:
- مفيش حاجة يا جاكوب.
- بس أنت بتعيط، بتعيط ليه؟
-مش بعيط ولا حاجة دا عيني فيها تراب مِن الجو والهواء
غلف الصمت الموقف ثم أردف الطفل:
- هو بابا لوران فين؟
وقع السؤال على أذنه، وتَمكن منه ذلك العَجَز والشلل، أخرسه ذلك السؤال، ظل يفكر للرد على سؤال إجابته كلمة واحدة، شِفرة يَتم فكها عن طريق الكلمة، لكن العواقب مِن الممكن أن تكون وخيمة ومريرة في نَفس الطفل، ماذا لو قال لهُ أن أباك قَدْ قُتل ؟
تراه يَتقبل الطفل كأن شيئًا لَمْ يَكُن، أم سينهمر في البكاء ويصرخ ويستنجد بأي أمل يعيد والده.
كان منظر الطفل في تلك الليلة غريبًا، وجهه عابس وعيناه ضيقتان متسألتان، كأنه يحاول أن يَستكشف أمرًا ما، فربت فريد على كتف الطفل وقام ثم قال:
- بخير .
أستغرب الطفل لهجة فريد على غير عادة، وبادر بسؤال حَطم الباقي لفريد وجعله على شفا حفرة مِن الأعتراف بالجرم الذي أقترفه في حق والده:
- مجاش معاك ليه؟
رفع عينيه للطفل:

- عشان هو في ملكوت السموات . .
سكت ثم أعاد:
- ملكوت الله.
أعاد الطفل ما سمع بإستغراب:
- هو دايمًا كان بيقولي إن ماما هناك كل ما أسأله عليها . . هو رَاح لها يا فريد؟
أطرق فريد برأسه إلى الأسفل بَعد أن أومأ برأسه، وترك الطفل خلفه ومضى ليجلس على الأريكة المجاورة، وحضن رأسه بين كفيه الكبيرين كالمتحسرين الذين أصابتهم مصيبة فجة، أستمر الحال لفترة تعدت الدقائق، بينما الطفل يقف غير مدرك ما يحدث، وفريد يُمني نفسه بفك عقدة لسانه ليجد كلامًا يقوله للطفل الذي قال بنبرة هادئة:
- يعني إيه في الملكوت يا فريد، مش هيجي البيت تاني؟ هو سافر زي ماما لبلد الملكوت ؟!
وكأن الطفل هو مَن أنجده فأنفكت عقدة لسانه، وقال الحل الذي أكد عليه فريد:
-اه يا جاكوب بابا سافر زي ما ماما سافرت قبل كدا.
نكس الطفل رأسه إلى الأرض وأنحدرت مَن عينيه قطرات من دموع بريئة، أعتلج صدره هَم لَنْ يَستطيع رجل بالغ العمر أن يَتحمل عواقبه:
- هما ليه بيكرهوني يا فريد، ليه بيسافروا ويسبوني لوحدي؟
غلف فريد الصمت ولَمْ يرد، كما أن عينيه ظلّتا ثابتتين، متسعتين، غائرتين، تَقطن بهما الدموع:
- أنا معاك يا فريد متخفش.

- أنت كمان في يوم هتسافر وتسبني يا فريد، أنا مبحبش الملكوت .
أرتسمت إبتسامة على وجنتي فريد، كأن الطفل يَعلم أن الجميع في تلك الحياة مجرد مسافرين، كل واحد لابد وأن يسافر إلى ملاذه الأخير، أقترب فريد مِن جاكوب وأمسك برأسه ولاصق أذن الطفل في صدره وقال نافيًا:
- مش هسيبك يا جاكوب.
سكت لوهلة ثم قال ليحول مسار الحوار:
- قولي ايه إلى حصل النهارده في المدرسة.
ترك صدر فريد وقال الطفل على مَضَض:
- فريد، عايزك تغيرلي إسمي.
عقد فريد حاجبيه دلالة على الأستغراب:
- ليه يا جاكوب؟
هز رأسه نافيًا:
- متقوليش جاكوب.
- أشمعنه؟
أتم جاكوب حديثه موضحًا:
- المدرس أما قالي أسمك إيه قولتله جاكوب فقال أن اسمي على اسم حيوان اسمه جاكوب.

(٦)

بعد أسبوع.
اليوم الإثنين.

عندما أنبلج النهار وأنسلت أشعة الشمس مِن نافذة غرفة مسعد في هدوء، جعلت ملامحه مجعدة مِن تأثير أشعتها، وهو يقاوم استكمال نومه العميق مادًّا يده إلى الطاولة الخَشبية الموضوعة بجانب فراشه ليلتقط الساعة، تحسسها حتى وقعت على الأرض، تأفف وهو يَمسح الأرض، لَمْ يلتقط الساعة فدقق النظر بنصف عين مِن مسافة المَمر بين السرير إلى الساعة الفسفورية المعلقة على حائط الصالة عَبر باب الغرفة، والتي كانت عَقاربها تشير للتاسعة صباحًا، وفي تِلك الأثناء سَمع بوق سيارة الدورية التى قَدمت.

.

حالة متعسفة في البلاد عمومًا وفي المنطقة خصوصًا تَجعل مِن، الضروري القيام بِجَولة تَفقدية بالمنطقة.

أشمئز مسعد وأطلق عبر شفتيه سبابًا للعساكر الماكثين في السيارة، جَلس على الفراش، ثُم قام وأتجه ناحية الزي الرسمي الموضوع خَلف الباب على قطعة خشبية مُعلق عليها، تأمل البدلة (الكاكي)، ذهب للحوض وبلل وجهه ومَسح رأسه بالماء ثم عاد إلى الغرفة. .

أرتدى ملابسه أمام المرآة ومَشط شعره، نَزل لسيارة الدورية، التقى بوجه اثنين مِن العساكر القابعين في السيارة وسائق غَارق في النوم على دريكسيون

السيارة، عندما لمحوا قدومه مِن بُعد فَزعوا وقالوا في نفس واحد وهم يَؤدون التحية العسكرية:

- صباح الخير يا مسعد باشا .

لَوح مسعد بيده مبادلًا التحية بإستهانة كما لو إنهُ يهش ذبابة مِن جانب أذنه، رَكب السيارة وذهب لقسم الشرطة وظل هناك حتى الساعة الخامسة، ثم ذَهَبَ مع العساكر لتفقد المنطقة والمناطق المجاورة التي لَمْ يكُن غريبًا خِلوها مِن الناس في ذلك الوقت، فالحركة في المنطقة وخاصةً الزراعية تَكاد تكون مَعدومة، ولكن مِن اليسير أن تَمر الدورية كما هو المعتاد بين الفنية والأخرى لتتفقد الحال وتطارد الخارجين عن القانون ومُفتعلي الأزمات، تصطاد المدمنين والمخمورين المتسكعين في الشوارع .

كان مسعد يَجلس بجانب السائق وأنصب جَميع أهتمامه في تلك الساعة على إنتهاء مدة الدورية الشاقة، كان ساهم النظر في زجاج السيارة بجانب السائق الذي بدأ في سيرة ينحرف يمينًا ويسارًا ليتفادى المَطبات الطِينية المزحلقة، وبالخلف همهمات العساكر لَمْ تكُفُ منذ شروق الشمس بينما السائق يجاهد مِن أجل بقاء السيارة على منتصف الطريق، أما المؤذي بالنسبة لمسعد هي الحشرات التي لَمْ تَدع بشرته الملساء إلا وأستفحلت قواها فيها ثم وخزت بإبرها وجهه ووجوه العساكر ببقع صغيرة جعلت وجه مسعد مليء بالحبوب الحمراء، ومع كل حشرة يحاول أن يَتفادى وجودها يَسب خاله الذي كان سببًا في إقناع والده بدخوله كلية الشرطة.

فجأة أستيقظ مِن الماضي على أرتطام رأسه (بتابلوه السيارة) بعدما أنحرفت عن مسار الطريق وإنقلبت رأسًا على عَقب، نزل العساكر، الذين كانو أقل المُتضررين مِن الخلف، وسعوا جاهدين في جعل السيارة تتزن

وتقف كما تم صناعتها على الأربع عجلات، أما مُسعد فقد أُصيبت رأسهُ وخَرّ الدم منها سائلًا على وجهه بخيوط رفيعة، بخلاف السائق الذي نَزل مِن السيارة كأن شيءً لَمْ يَكُن، جَفف السائق دماء مُسعد بمَنديل قد سلك بها أنفه طوال الطريق، والدم كلما يمسحه السائق لا يلبث حتى ينزف مرة أخرى فوجه السائق الحديث للعساكر:

- شوفوا أي مساعدة مِن أي بيت، عايزين قطن ومطهر .

نَظر العساكر لبعضهم البعض نظرة بلهاء ثم قال أحدهم:

- مفيش بيت قريب مِن هنا.

ردد الأخر:

- إحنا ممكن نرجع تاني بالعربية.

قال السائق:

- مش هنلحق هيكون نزف كتير، عايزين أي مطهر حالًا وقطن وبعد كدا نرجع.

وقف السائق ودقق النظر ماسحًا المنطقة بعينيه فشاهد منزل يَبعد قرابة ٤٠٠ مترًا فقال لهم وهو يشير بأصبعه بعيدًا:

- هناك.

هَم العَساكر قَاصدين المنزل، عبروا وسط الحقول الزراعية حتى أختفوا بين الزرع، دنا أثنين بالقرب مِن مَنزل داوود، عبروا حديقة المنزل الصغيرة التي كانت خالية تمامًا، دلفا باب الحديقة فوجدوا باب المنزل مفتوحًا على مصراعيه، أقتربا ببطء ووقفا أمام الباب المفضي للصالة المعتمة، نظرا بريبة لبعضهم قبل أن يتجرأ أحدهما ويقول:

- حَد هنا؟!

لَمْ يتلق رد، نَظر بعضهما لبعض بدهشة حتى حضن كلاهما الأخر، عندما سَمعا صوت جِناح طائر يَضرب الهواء:

- يا جبان دي حمامة . . متخفش.

هز الأخر رأسه بخوف وعينه تترقرق مِن شدة الجَزَع:

- يلا نخش نشوف حَد في البيت ولا إيه.

تفوه الأخر بتلقائية، وبدأ في رَص جُمل تجعلهما يعدلان عن دخول ذلك المنزل الموحش:

- لا لا لا، كل بيت لهُ حرمة، ومينفعش نخش بيوت الناس مِن غير أستأذان.

.

قاطعه الأخر:

- لو كان جوه كان رد علينا.

- مظبوط وعشان كدا مينفعش نخش البيت .

شَد العسكري ذراع الجَبان، خطى الأثنان خطوتين، ووقفا عِند حَد الباب، تجرأ الأخر وشَد ذراع العسكري، وتخطيا الباب ببضع خطوات، وقفوا خائفين بعض الشيء مِن العتمة الكاحلة، وبدأ العسكري الجبان في تفقد المكان بخوف، أما الأخر فتذكر أمر الكَشاف، وفتحه موجه ضوئه لحائط الغرفة فوجد صورًا كثيرة وعتيقة، لَمْ تَكُن واضحة بسبب تراكم الغبار الكثيف عليها. مَرر الكشاف على الحائط ببطء وتخطى شيء فرجع بالضوء إليه بسرعة حتى وقع الضوء على جُمجُمة ثور بقرنين بارزين، فإسترابا وتشبث الأخر في سروال ماسك الكشاف، وفجأة إنطفأ الكشاف دون تدخل فحاول العسكري فتحه مرة أخرى بلا فائدة فقال:

- يادي الحظ الزفت، أدى البطارية خلصت .

أثناء حديث العسكري أرتعش مصباح في سقف الحائط بين الفينة والأخري، وعند كل مرة يسطع ارتعاش المصابح تتبدل الصور الموضوعة على الحوائط، حدق الإثنان ويكاد قلبيهما ينفجران مِن شدة الخفق، عندما وقع في مجال بصرهما شيء يتطلعان عليه في كل مرة يرتعش المصباح، كان يقف بهالة صمت منكس رأسه، يرتدي عباءة وشال يغطي رأسه حتى جبينه، يلمحهما بنظرة ماكرة مِن أسفل الشال، ويَطبع ظل مخيف على الحائط.

وقفا مذهولين حتى سمعا صوت الباب محدثًا صرير مُخيف فإستدارا للخلف، ولمع في عيونهما أخر نقطة ضوء مِن الخارج قَبل أن يُغلق الباب مِن تلقاء نفسه، ويُدارمزلاجه دون أن يتدخل أحد، ركضَ مسرعين نحو البـاب، وظـلا يَـقرعان على الباب بقوة، ويطلقان صراخًا نابعًا مِن حنجرتيهما يحاولان به الإستنجاد لعلّ أحدهم ينقذهما. ظهريهما للباب، وعيونهما جاحظة مذهولة، أجسادهم مرتعشة وذلك الشبح يَظهر ويختفي مع إرتعاش المصباح مِن وقت إلى أخر دون حراك باثًا في نِفسيهما الرعب، وفجأة تَمتم صوت غَليظ مصحوب بضحكة متقطعة، اعتقدَ أنه نابع مِن ذلك الشبح ولكن دون أن يُحرك شفتيه المتوارية خلف الشال.

* * *

بَعد مرور نصف ساعة.

تأخر العسكريان كثيرًا، الشمس مالت في نهاية السماء وأرسلت أخر أشعة برتقالية في الأفق، كانت الحرارة شديدة مُنذ مطلع النهار،وتعاقبت العواصف، لفح الهواء جسديهما بعدما غابت الشمس وأسدلت ستائرها، كان الجو في المُعتاد هكذا شديد الحرارة عندما تتوهجّ الشمس، وفي جُب الليل يلسعّ الهواء الأجساد بسبب الهواء العارم، ظل مسعد والسائق ينتظران طوال

تلك المدة عودة العساكر مِن طلب العون، كان قد ربطّ السائق الجروح بعدما مزق كم الثوب الذي كان يرتديه حتى يوقف تدفق دماء مسعد، الذي بدا عليه الإنهاك والوهن بسبب الدماء التي فقدها، لكن وبعد فترة مِن الوقت استردجزءًا مِن عافيته، وانهال بأقذر وأشنع كلمات السباب على العساكر أمام السائق، الذي لَمْ يَسلم هو الآخر مِن بعض منها.

وسط الحقول تجلى القمر في السماء بجانب النجوم، التي تَجمعت في شكل أفقي كالبنيان المَرصوص، والحقول تترامى مِن جميع الأطراف ساكنة حينًا ومتحركة بفعل الرياح التي تهب حينًا آخر، وأصوات طنين ملايين الحشرات يَصم آذانهما، صوب مسعد عينيه على ساعة اليد وحسب فارق الزمن بذهن مشتت وبواقي طاقة قاربت على النفاد، نصف ساعة مُنذ ذَهاب العساكر ولَمْ يتركوا أثرًا حتى الآن، أمتقع وجهه وَعَمت علامات الاستفهام تجوب عقل السائق ومسعد. حيث لو أن مسعد علم بحدوث حادثة أو أي مكروه أو أطلع على خبر موتهم، لكان هينًا عليه بدلًا مِن الإنتظار تلك المدة خالي الوفاض، أما السائق أستند على السيارة مُفكرًا بين كل سيجارة وأخرى يشعلها في سر تأخير العساكر إلى هذا الحد، تُرى أحدث لهم مكروه ؟ طلع عليهم قطاع طرق وسَحلوهم ؟ أم إن الأرض قد انشقت وابتلعتهم ؟ ، في هذِهِ الأثناء قد نفد صبر مسعد وهم محاولًا جَمع شتات نفسه، أطلق زفيرًا حادًا ينم عن غضب ظهر في شرارة عينه الواسعة، راح يَسير فيها بإنتظام جيئًا وذهابًا، غير القلق الواضح لكونهم وسط العراء، ولقمة سائغة لقطاع الطرق واللصوص والحيوانات المختفلة التي تسعى لكسب رزقها ليلًا، والحشرات التي حاول مرارًا أن يتحاشها دون فائدة، مَر الوقت ببطء ومسعد متجولًا بالقرب مِن السيارة، ويلتفت ما بين الفينة والأخرى لو سمع

صوتًا، حتى ولو كان وهمًا يدخل في أذنيه، وفجأة وقف وكظم غيظه، ثم قال بنبرة غاضبة وهو يجز على أسنانه:

- الأغبية دول فين؟

- أظن أنهم راحو المنزل دا

وأشار ناحية المنزل البعيد فإستطرد مسعد مستكملًا بغطرسة:

- وإيه التأخير دا كله !

تطلع إليه السائق ورفع منكبيه بما يفيد عدم المعرفة وتفوه قائلًا:

- معرفش يا مسعد باشا.

تبادلا هز الأكتاف والرأس بعلامات تنم على عدم فهم مجرايات ما يحدث حتى قال السائق بتشفِ:

- ليكون حصلهم حاجة.

- ياريت . .

تفوه بها مسعد مُتمنيًا أن يحدث ذلك سريعًا، إما أن يكونا مازالا على قيد الحياة أو أصابهما مكروه، المهم أن ينتهي ذلك العبث سريعًا، يُمني النفس أن يعرف ما حدث لهم، فلو قد بعثوا للأخرة فالله يكون وضع حدًا لذلك، ولو كانا على قيد الحياة فسيرسلهما مسعد للسجن لمدة تشفي غليله مِن تأخرهما إلى هذا الحد، وجعلهم وسط الحقول حتى هذه الساعة المُتأخرة مِن الليل دون حراك حتى مجيئهما، وبعد فترة مِن السكون والتفكير قال مسعد:

- وهنلاقيهم فين؟

أطلق السائق السيجارة مِن بين يديه ونفث دخانها بعيدًا عن وجه مسعد إحترامًا لمكانته ثم قال قَبل أنْ يَعتدل في وقفته:

- تقريبًا . . .
دار برأسه في جميع الجهات، ثم أشار بأصبع متردد لأحد المنازل واستطرد:
- تقريبًا في البيت دا .
أستنشق مسعد نفسًا عميقًا، وهو يغمض عينيه ويطبق شفتيه، ثم قال بنبرة الذي يجاهد مِن أجل إطفاء ثورته العارمة:
- يلا بينا
سأل السائق:
- على فين؟
نظر مسعد للمنزل واستكمل وهو يدقق النظر:
- للزفت يا بني أنت مش بتقول هناك.
حملت عاصفة الرياح الرد إلى أذني السائق، فجر ساقيه وراء مسعد، بدأ في السير، نزل السائق وتبعه مسعد منحدر إلى ممرعرضه مترًا واحدًا بين حافتي الأراضي الزراعية، وشق الاثنان الطريق داهسين الحشائش الصغيرة التى أحدثت صوتًا مألوفًا، وقبل أن يَصلا إلى نهاية الطريق عرقل الطين خطى مسعد، فوقف محاولًا التوازن، فصاح السائق قائلًا:
- خلي بالك يا مسعد باشا .
وقف مليًا ولَمْ يتحرك لمدة دقيقة قَبل أن يستكمل السير، وعندما وقع المنزل في بصرهما، حدق بغرابة مِن كون شخصًا يَسكن في ذلك المنزل المنعزل عن باقي المنازل الموجودة، ولو كانت حتى في الأراضي الزراعية، التي تَبعد عن الحي، كمّا إن المنازل في شوارع مرصوصة بجانب بعضها البعض قبل الإنجراف في الحقول الشاسعة والأراضي الطينية الخصبة، كان المنزل خاليًا تمامًا مِن الأضواء ولا يعبر عبر نوافذه نور، ولو شحيح، لكن قد يكون تعاقب

الليل ومَيل الريفيون إلى النوم مبكرًا قد كان مُبررًا، أما الحديقة الصغيرة للمنزل لو تم إطلاق عليها حديقة كانت خالية مِن أي شيء، مساحة واسعة دائرية حول المنزل مغايرة كليًا لفكرة المنازل الريفية التي تبنى بعضها مِن الطوب اللين والبعض الأخر مِن الخوص وجريد النخل، وكان لها طابعًا معروفًا، الدجاج يترامى مُكأكأً أمام البيوت، والماعز والأبقار في الزرائب، أما ذلك المنزل كان لشخص تحس إنهُ غير ريفي، شخص لَمْ يَعرف الحياة الريفية الشاقة ولا يقوم بتربية الحيوانات كما هو المعتاد، معزول في بقعة ومنفصل تقريبًا عن الناس.

ظلت تلك الأفكار تدور في عقل مسعد.

تقدم بخُطى وئيدة، عبر باب الحديقة الحديدي الصدئ، ثم التفت وقال للسائق:

- هنا ؟

- مين العساكر؟

جَز مسعد على شفتيه:

- أنتَ مش قولت أنهم جوه؟

تَرَقرقت عين السائق مِن الخوف:

- مكنتش متأكد.

قالها وأجبر على السكوت مِن نظرة مسعد المُستحقرة، وبعد مدة مِن الصمت المُغلف، قطع مسعد حبل تفكيره شاهرًا سلاحه الناري ،مسدسًا طُراز(وبلي) ذا الماسورة الرفيعة متعدد الطلاقات، تلفت برأسه إلى السائق هز رأسه لليمين بما يفيد أن يتقدم هو الآخر مِن الناحية الأخرى، بحيث يكون هو مِن جهة والسائق مِن جهة تحسُبًا لو حدث شيء، وبعد وهلة

جعل مسعد يديه كالقبضة وأشار للسائق بأنيدق على الباب دون أن ينبس بكلمة، أما هو فسوف يَحمي ظهره ويظهر إنتم الهجوم أو حدث أي شيء مُفاجئ، هم السائق وطرق على باب المنزل، دق مرة واحدة ثم انتظر لثوان قبل أن يعاود الطرق.

أنتظر إستجابة لكن لَمْ يُجيب أحد، التفت برأسه لمسعد ورفع منكبيه، فإقترب مسعد وقال بصوتٍ عالٍ:

- حَد جوه!

لَمْ يَسمع إلا صوت الرياح، نحى المسدس جانبًا، ودفع الباب بكتفه مرة تلو الأخرى، في المرة الأخيرة رَجع للخلف وتبعه السائق وفي غمضة عين اندفع الإثنان ناحية الباب، وقبل أن يرتطمَ بكتفيهما فُتح الباب مِن تلقاء نفسه، عندما قاربا على ملامسته فوقعا داخل الصالة على بعضهما، ثم عاد الباب ورجع حيثما كان جاعلًا العتمة تستحوذ على الصالة، والجَزَع قد بدا جليًا على وجهيهما، وفجأة دوت صرخات لأصوات نساء متداخلة، فسمعا الصراخات مِن ثانية لأخرى، وأوصالهما ترتجف مِن شدة الخوف، صرخة تعقبها صرخة تَصم آذانهما، لَمْ يَقدر مسعد على التفوه بكلمة ولو فعل لإستحال سماع صوته بين تلك الصراخات النابعة، غير إنه فكر وبفكر الأطفال الصغار إنه لو تكلم سيجعل الإنتباه حليفاً لهُ، فظل ساكنًا في مكانه ودقات قلبه تكاد أن تنفجر، يِزدرد ريقًا مِن وقت لآخر، وعينه لامعة وسط الظلام الكاحل في ذلك المنزل، الذي لَمْ يَقدر على تحديد هويته أو صفته، وعندما أنقطعت الأصوات وبأخر ما تبقى مِن الرجولة لديه تشجع مناديًا على السائق،لكن لَمْ يَستجب السائق لندائه، وفي عقله إن ليس مِن مصلحة السائق أن يَمتنع عن الرد في هذا الظلام الدامس، ربما قد حدث شيء مجهول، قتل مروع

وهو ينتظر دوره أن يتم مباغتته مِن أحد الجوانب، أبعد أفكار الأجناس الأخرى عن عقله حتى لا يجن وسط تلك الظلمة المعتمة، وقبل أن يصبح كالمخبول، والحق يقال إن أي شخص لو وقع على مسامعه تلك الأصوات لكان بلل نفسه، تماسك مسعد ببعض القوة، ظل يَتحسس عله يجد شيء يقوده إلى مصير أفضل مما هو عليه، وجد الباب فظل يتحسس مزلاجه بلهفة، وراح يديره لكن بلا أدنى فائدة، الباب محكم الإغلاق بواسطة شيء مجهول، كلمة مجهول تتكرر في هذا الموقف كثيرًا، المجهول ينم عن الشيء المظلم الذي لا يُرى، أو الشخصية الغامضة التي لا تحب أن تُشاركها حياتك، المجهول يجعل العقول في الهاوية، وخاصة لو كان في مثل الذي هو عليه، المجهول يجعل خيالك خصب، ينمي القدرة على التنبوء بما سوف تَؤول إليه الأحداث، أما الجانب البشع إنتظار المصير الذي سوف يَحدث.

الأفكار المتخبطة ألهبت عقل مسعد، في تلك الأثناء مر عليه شريط الذكريات كاملة، حدث نفسه إن ما يحدث نهايته الموت، كثيرًا قد سمع إن الذين يبعثون للآخرة يرون مقطتفات مِن حياتهم قبل اقتلاع أرواحهم، وها هو الآن يَمر بتلك المراحل التي تأتي قبل الموت، يتذكر صباه، شبابه، أبيه وأمه، والخال الذي ألح عليه ليمارس القانون تحت عباءة ضابط الشرطة، راود عقله إنبَعد الموت في ذلك البيت الكئيب الذي لا يدخله أحد سيكون مصير جثته التعفن، ويكون وجبة دسمة للحشرات التي سوف تغزو وتَفتك أحشائه وسيكون مصير الجثة غير محدد، يكون مصيرها مجهول.

وفجأة. .

كأن الأمل قد أنبعث مِن جديد وتأخر ملك الموت في نزع الروح، أو إن السر الإلهي أشفق عليه، ووَهبه بعض الوقت ليحيا ولو لدقائق معدودة،

ومضة سريعة مِن بريق النور جعلت الغرفة مرسومة في عينيه، أضيئت لمبة غاز بدون أن يقترب منها عود ثقاب، فشاهد خيوط مِن الدماء تسيل على الجدران، تَحجرت عيناه في محجريهما وعمت العتمة مرة أخرى، ودوي صوت خفق أجنحة لخفافيش تلوح بأجنحتها في الغرفة، خفافيش تتشبث بسقف الغرفة ضامة جناحيها على جسدها بعيونها المريبة المُتلألئة في حلك الظلام، وفي كل ثانية تمر تتألق عينان إضافيتان في الغرفة المظلمة، حتى أمتلأ السقف بعيون الخفافيش الجاحظة اللامعة، أرتعدت أطراف مسعد وأصبحت أنفاسه في صِرَاع مستمر والأفكار التي تراوده تفتك به ببطء.

تَسرب الخوف داخل عروقه، ولَمْ يَعد يقوى بعلى حمل ساقيه عن الأرض، أنزوى في ركن مِن زاوية الغرفة، ثم أرتَعش المصباح المثبت في سَقف الغرفة وسط الخفافيش مرة أخرى فطبع ظلال كبيرة ومريبة للخفافيش على حوائط الغرفة، جثا مسعد على ركبتيه، لَمْ يَعد يقوى على الوقوف عندما رأى رؤوس العساكر والسائق معلقة على الحائط، كان منظر الرؤوس مهيبًا، معلقون مِن شعر رؤوسهم وعيونهم منطبقة على بعضها، وقطرات الدماء تتساقط على الأرض مِن رقابهم المقطوعة، صوت تساقط القطرات كان لهُ وقعًا مريبًا في نفس مسعد، فعصف بِصرخات لَمْ تتوقف كادت أنْ تتقطع مِن شدتها أحباله الصوتية وهو يغمض عينيه، ثم توقف عن الصراخ وأرهف السمع لصوت أنفاسه المتلاحقة، وقبل أن يعود للصراخ مرة أخرى انقطعت صرخة كانت على أهُبة الإستعداد أن تدوي كمدفع كروسيدر العملاق عندما شاهد خيال يترامى أمامه على بلاط الغرفة لهيئة إنسان مطوق بحبل كالمشنقة.

تحسسها مسعد عندما منعت الهواء عن رئتيه.

(٧)

بعد مرور أيام.
شوارع القاهرة.

في شارع جماعة الدول العربية الذي سمَّى بهذا الاسم بدعوة للرئيس جمال عبد الناصر، وفي الميدان المتسع الذي ينتصب فيه تمثال الكاتب نجيب محفوظ يَعدو شاب في مقتبل العمر، وآخر يَركب دراجة هوائية يَحمل على مسندها الخلفي رُزمة مِن الجرائد بمختلف أسمائها في شوارع القاهرة؛ليلحق بالشاب الذي يَحمل جريدة يلوح بها في الهواء صائحًا بصوت عالي النَّبْرة:
-أقرا الخبر، أقرا الخبر.
وعلى الجرائد عناوين كثيرة تخص حادثة شائكة:
(مثلها مثل الحوادث الغامضة . . والسبب مجهول)
(جَريمة قتل ظابط واثنان مِن العساكر وسائق في مصر القديمة)
(بعد عدم معرفة الجاني وعدم توصل قوات الشرطة بعد مباحثات وتحريات عن الحادث قيضت حادثة الضابط والعساكر والسائق ضد مجهول)
(لغز منزل مصر القديمة)
(الخرافات تنتشر بين الناس . . مَنْ قتل الضابط و العساكر والسائق جنس آخر)

(٨)

بعد أعوام كثيرة.

- يلا يا سامية . . الراجل على وصول.

أرتدت سامية العباءة السوداء التي وارت شِحوم جَسدها، وأسدلت سترة على شعرها:

- يارب المرة دي تتم على خير مش زي كل مرة.

همست سامية:

- متقلقش يا حَاج إِن شاء الله الشقة تتباع ونخلص مِن قرفها.

- حَقا يا سامية لو اللي جاي جاي يشتريها مش جاي طالب إيجار تكون طاقة القدر أنفتحت لنا ونخلص مِن قرفها . .

ربتت سامية على كتف زوجها مختار وهي تقول:

- بإذن الله يكون جاي على الشرا مش إيجار يا حج . . هو أما أتصل بيك مقالكش هو عايز يأجر يعني ولا يشتري؟

- مش هو اللي أتصل.

- أمال مين؟

- سعد.

أعادت الاسم بحسرة:

- سعد السمسار !

- أه .

- وقال لكِ إيه؟
- مقالش غير إن في واحد عايز شقة هييجي معاه
لوت سامية شفتيها:
- وأكيد عايز عمولة
رد مختار:
- عمولة عمولة بس نخلص مِن قرف الشقة دي .
مَر منصور مِن الغرفة وقد كان سمع الحديث الذي دار بين والديه فقذف سؤالًا:
- وإيه اللي أجبرك تَاخدها وإحنا قاعدين في شقة يابا؟
التفت مختار موجهًا حديثه لمنصور:
- محامي ابن هرمه أغراني وقالي ممكن أحضرلك ورق بيت ملوش أهل يسألو عليه . . ساعتها كنت طلعت على المعاش ومعايا المكافأة فقولت مبدهاش . . ختها مِن تنضيف لدهان لكهربا . . وقولت أأجر الشقة تدخلي فلوس مِن وراها كل شهر
قال منصور بعد لحظة صمت:
- وصحيح يابا الشقة دي فيها حاجة مش طبيعية !
وقعت الكلمة على مسامع مختار كالصاعقة:
- حاجات مش طبيعية أزاي يا منصور؟
- مسكونة يعني
بصقت سامية في جوف العباءة مِن الداخل وهي تقول :
- اللهم أحفظنا.
ثم تدخل مختار وهو يجذب منصور مِن ياقة الفانلة قاذفًا كلامه كالرعد:

- إياك أسمع الكلام دا قدام الراجل ولا تقول الكلام دا قدام حد . . عايزين نخلص مِن وشها

قال منصور بِجَزع:

- حاضر يابا . . حاضر

ترك مختار فانلة منصور وقال وهو يلوح برأسه :

- غور يلا على الأوضة بتعتـك.

قاطع حديثه صوت دق على الباب، فأشار مختار رافعًا حاجبه دلالة على دخول منصورغرفته أما سامية فذهبت لتفتح الباب وهي تقول:

- جاية أهو يلي بِتخبط . .

فتحت مزلاج الباب، فكان في إستقبالها سعد ورجل فاحت رائحة طيبة عند دخوله فقالت سامية:

- اتفضل يا أستاذ سعد .

ظهر صوت مختار الجهوري قائلًا:

- مين يا أم منصور؟

صاحت سامية عاليًا:

- دا سعد يا حج

أفتعل مختار عدم المعرفة:

- سعد السمسار.

- أه .

هم مختار إلى الصالة، عانق سعد بعد أن صافح الرجل الغريب الذي مد يده:

- الدكتور إيهاب كان قصدني في شقة وأنا ملقتش أنسب مِن شقتكم .

- يا ألف أهلًا وسهلًا أتفضلو أقعدوا .
قالها مختار، جلس جميعهم للإتفاق وبعد فترة مِن القيل والقال، أردف سعد موجهًا حديثه لمختار:
- المبلغ اللي أنت طالبه في الشقة كبير شوية يا حج مختار والدكتور إيهاب مش غريب و. .
قاطعه مختار:
- مش هنختلف يا جماعة، دا كفاية طلة الدكتور والله.
دخلت سامية بصينية تراصت عليها أكواب الشاي، فمد الحضور أيديهم وارتشف إيهاب رشفة ثم قال بوقار:
- أنا مسافر بكره يا حج أخلص شوية أوراق مِن المنصورة، وهرجع بعدها بيوم تكون العقود جاهزة عشان هسافر فجر اليوم اللي بعده لبنان.
تدخل مختار وقال بإستغراب:
- أماللامؤاخذة أنت شاريها ليه يا دكتور؟ معلش يعني أعذرني في السؤال!
قهقه إيهاب وقال:
- دي مجرد سفرية تبع الشغل، هسافر وأرجع وغير كدا مراتي وعيالي هيكونوا موجودين في الشقة.
قال مختار:
- أه، حيث كدا العقود تكون جاهزة بكرا.
قال إيهاب:
- مش لما نتفق على السعر الأول.
- صلي على النبي يا دكتور دا كفاية مجيتك .
تَدخل سعد صائحًا:

- الأستاذ إيهاب يوحنا جرجس هيكون فاضي بعد بكرا يا حج.
موجة ضحك أنتابت إيهاب الذي ردد:
- عليه أفضل الصلاة والسلام يا حج.
قال مختار:
- معلش يا دكتور العتب عالنظر، وعمومًا في موضوع الشقة مش هنختلف كتير .
- مش هنختلف كتير، معني كلامك أننا هنختلف قليل ولا إيه؟
قالها الطبيب بمزحة فتبادل مختار وسعد الضحك ثم قال سعد:
- لا يا دكتور لا كتير ولا قليل.
ثم نظر لمختار:
- أخر مبلغ اتفقنا عليه يا حج هاا بايع . . ؟
تظاهر مختار بأنه سيتجرع الخسارة:
- بس. . .
قاطعه سعد:
- مبسش يا حج سعرها كدا حلو
قال مختار:
- عشان خاطر الدكتور بس والله
انتصب إيهاب واقفًا وقال وهو يستعد للذهاب:
- تمام يا حج أتفقنا . . بعد بكرا نوقع العقود.
قام سعد وقال مختار :
- تمام يا دكتور .
قال إيهاب:

- هستأذن أنا.

قال مختار وهو يربط على يد إيهاب:

- شرفتنا يا دكتور.

هم سعد السمسار خارجًا وراء إيهاب، وهو يرفع خمس أصابع ويفرك أصبعين أخرين بمعنى أن العمولة خمسة آلاف، فهز مختار رأسه بعلامة الموافقة.

بعد يومين. جاء إيهاب لتفقد حالة المنزل قَبل توقيع العقود، كان المنزل في هيئة جديدة، يشبه فيلا بسبب الحديقة التي يَحدها سور مِن جميع الجهات. تفقد إيهاب الغرف جميعها والمنزل بأكمله، ثم وقع على العقود الملعونة.

(٩)

بعد مرور شهرين.

كان الوقت ظهرًا، وقرص الشمس حارقًا، والحرارة في ذروتها في ذلك الوقت، ومِن حِين لآخر تَهب عاصفة هواء خماسينية محملة بالغبار تَحمل معها ما في الطريق.

مدت ريموند إحدى ساقيها ناصعة البياض مِن بَاب السيارة، وهى تُسقِط النَظارة السوداء ذات الماركة الشهيرة على أرنبة أنفها الصغير، في يوم متواصل ومُنهِك مُنذ خروج ريموند مِن العمل وذهابها للتسوق لتشتري لوازم كَبلتها أموال طائِلة، وحُمُولة ثقيلة شلت أكتافها مِن حَملها، أغلقت باب السيارة بعدما نَزلت قَابعة تحت أشعة الشمس، شعرت بِدوار خَفيف، سرعان ما تلاشى مع هبات رِياح منعشة نادرًا ما تأتي في هذا الجو الكئِيب،

كانت تَرتدي مَلابس مُزركشة قصيرة الأكمام تُناسب حرارة الطقس، الذي ورغم إنها ترتدي خصيصًا ملابس خفيفة كان حارًا جدًا، وتتزين بِعقد ذهبي مُلتف حول رقبتها ويتدلى الصليب حتى مَفرق ثدييها، تَمتلك قوامًا رشيقًا يمتاز بالإنسيابية والجذب، ووجه رَقيق القسمات، عين بُنية ضَيقة يائسة تُشبة عيون المُحاربين القدماء الساموراي اليابانيين، وشَعر كِستنائي يَزحف خَلف ظهرها، يَظهر لمعان خفيف كلما ضربه وهَج الشمس، وكعب عالٍ راحت تدب به في الأرض كحوافر الخيول، حتى وصلت لـ (كابوت) السيارة الخلفي ثم أولجت المفتاح فيه، ومِن ثم أخذت المشتروات، ومَضت بخطى

مُترنحة بِفعل الحمولة الثقيلة والكعب الذي أخل توازنها أكثر مِن مرة، حتى وصلت إلى باب المنزل بقطرات عرق إمتزجت بكحلها الرقيق، دلفت الباب فوجدت ولديها عادل وبيشوي يَجلسان في الصالة وهما يلهوان مع قطتهم الجالسة في وسَطهما وهما يتبادلان في الضرب واللكز لها.

تَمتلك ريموند مِن العمر ثلاثة وثلاثين عامًا، لها ولدان توأمان وبنت، تركهم والدهم عندما توفي آثر حادثة، كان التوأمان يشبهان بعضهم لحدٍ كبير، بشرتهم بيضاء بها حمرة كأنهم يتجرعان النبيذ الأحمر القاني حَد الثمالة، وأنفاهما صغيرتان إذا تمت مقارنتهما بوالدهما رحمة الله عليه، قامة نَحيفة، ولا خلاف عليهما في الطول إلا بَعض السنتيمترات قد تُلاحظها إن دَققت النظر لبيشوي الأطول نسبيًا، ورغم صِغر السن الذي كانوا يمتلكانه كان طولهما فارعًا مقارنة بِمعدل نِمو سَنهما، لا غبار في الذكاء الذي يمتلكه عادل، ولد ذكي دراسيًا لأقصى درجة، ولا يَترك امتحان إلا بعلامته الكاملة، معروفًا بالطالب النابغ وسط أصدقائه التلاميذ والمعلمين الذين كانوا يتنبؤون لهُ بمستقبل حَافل مليء بالإنجازات، يحب المدرسة ومذاكرة الدروس أول بأول، كما إنه يَعشق الرياضيات والفيزياء، وهائم بشكل كبير في الإطلاع والمعرفة على العُلماء الأفذاذ أمثال إينشتاين وأرشيميدس وغيرهم الكثير ، يُمني نفسه أن يَصيرِ يومًا ما مثلهم، حتى لو لَمْ يَكُنّ بِنَفس درجة الذكاء، عالمًا كبيرًا مشهورًا يتباهى بهِ الوطن ويرصع بالعديد مِن الأوسمة، تلك هي طموحاته.

على العكس بيشوي الذي يَتجاهل أمور الدراسة رغم حرص الأم عليها، ويكرس حياته لألعاب الفيديو وممارسة الرياضة، وخاصة كرة القدم والتى يَجلس مكرس إهتمام كبير أمام التلفاز لساعات كثيرة لتشجيع الفريق الذي

يرتدي فانلة بيضاء يعترضها خطان أحمران والشورت الأبيض الناصع.
عَبرت ريموند الصالة، وضعت الأكياس على الأرض، بعدما أخذت نفسًا عميقًا، ثم أستغرقت وقتًا حتى جمعت كلمات:
- لسه قاعدين مِن ساعتها مع القطة؟
تبدلت ملامح الطفلين للخذلان، وطأطأ رأسيهما في الأرض:
- الأكل هيكون جاهز بعد نص ساعة،تكونوا أنتم كمان جاهزين.
فطن الطفلان إليها وأردفا في نفس واحد:
- حاضر يا ماما.
- اغسلوا أيديكم بعد ما تخلصوا لعب مع القطة.
قال التوأمان في لحظة واحدة:
- ماشي.
أكملت ريموند خطاها وعقلها يَجزم إن النوم سَيطرق الباب إن وَضعت رأسها على أقرب وسادة ناعمة بسبب الإرهاق الذي بدا واضحًا عليها، وعندما صَادفت أول أريكة ارتمت عليها بِخمول وأطلقت زفيرًا حادًا أخرجت بِهِ كم هائل مِن الهموم المحبوسة، ورَاحَت تتأمل الصور والتُحف الموضوعة على الطاولات، كان المنزل جديرًا بأن يكون فاخرًا؛ بسبب بساطة الأثاث التي تُبهر مِن روعتها وشدة بساطتها، تُحف فنية مختارة بعناية مِن عَينٍ لها ذوق رفيع، ألوان حوائط متناسقة بِشَكل كبير مع باقي الأثاث، قطع فنية وتماثيل مصنوعة بِحرفية، صور معلقة على الجدران وبراويز تشع صورًا للعائلة، وصلبان خشبية معلق عليها السيد المسيح مصلوبًا خامل الرأس، وَقعت عيناها على أهم صورة وجدت في المنزل، كان زوجها إيهاب يَعشق التصوير والرسم والنَحت؛ لذلك يَهدي لها صورًا كهدايا لريموند، أما

تلك الصورة التي فتحت ريموند عَينيها عليها، والتي كانت تُشبهها لحد كبير جدًا والتي أبتاعها إيهاب مِن باريس مُنذ قرابة الخمس سنوات، قَبل وفاته بحادثة إنقلاب سيارته مِن فوق أحد جِبال لبنان الشاهقة، عندما بُعث إلى لبنان في بعثة طبية، كانت اللوحة لامرأة حَسناء تَطّل ببياضها المزين ببعض النمش البُني على وجنتيها، وأنفها المُدبب الصغير وعينيها الأسيويتين الزرقاوتين الثابتتين، وشعرها الكستنائي المسترسلة خُصلاته على ثَدي مُفلطح يتوارى نصفه بشرشف يغطي جَلستها المُلتوية كالأفاعي المُتربصة للإنقضاض على فريستها، وتظهر نَقاء فخذها الأبيض بلا شوائب تُعكر مِن صفُوه، هكذا كانت ريموند تشبه السيدة التي سَكنت تلك الصورة بالفعل، شردت ريموند في ذكرى إهداء إيهاب لها في تلك الليلة عندما جاء وقال لها بإبتسامة أرتسمت على محياه:

- بيقولوا في باريس أن اللوحات بتبين جمال التفاصيل.

في صِغر ريموند كانت تُمني نَفسها بزوج مِثل إيهاب، وسيم بعيون متألقة تَسحر مَن لا يؤمن بالسحر، ووَجه لا تذهب الإبتسامة عنهُ إلا في أضيق الظروف، كما كان جادًا وحنونًا في آن واحد معها ومع الأطفال، وعندما سَنحت الفرصة وتَزوجت إيهاب لَمْ تَمر إلا القليل مِن السنوات حتى لعبت الأقدار، وإنتزعت الحياة الزوج الصالح، تَتذكر حينما كان يُرافقها في الجامعة، كانا الأثنان في كلية الطب، وقتها كانت شابة جميلة ومنطوية عن باقي الزُملاء وإن كانت تفضل ذلك، تَعرف عليها في مكتبة الكلية، عندما دخل عَن عَمد كما قص عليها بعد ذلك وافتعل نسيان مكان كتاب يحتاج إليه، ومِن شدة الارتباك الذي ظَهر على وجهها نسيتأن الكتاب الذي يبحث عنه في أحضان يديها، وظلتّ تبحث عنه وهو يرمق الكتاب مِن وقت

لآخر ليتأكد مِن إنهُ ذَكر الأسم صحيحًا، وبعد فترة مِن البحث كَما لو إنهم ينقبون عن قطعة أثرية أشار بسبابته نحو الكتاب وقال:

- أظن إن الكتاب اللي بَدور عليه معاكي . .

وقفت بملامح مشدوهة تنظر على اسم الكتاب الغليظ ثم مَدت يديها بدون إرادة:

- اتفضل.

فقال:

- لا مينفعش .

- لو كُنت محتاج الكتاب ممكن تستعيره بدالي لأن أظن مفيش غيره، أخر واحد في المكتبة .

- لا صدقيني مينفعش.

- أنا ممكن أصبر شوية أيام مش مستعجلة وتكون أنتَ خلصته .

لَمْ يتفوه بكلمة فبسطت ريموند يدها:

- إتفضل .

خيم الصمت للحظات ثم أنتقل طرف عين إيهاب ليديها ثم نظر إليها بطرف عينه وقال:

- صدقيني مش ينفع، أنا برضوا مش محتاج الكتاب اليومين دول ضروري، بس ممكن تخلصي قراءة وتكلميني .

- مفيش مشكلة.

وقبل أن تغادر قال إيهاب:

- هتكلميني أزاي؟ .

ردت بتلقائية:

- معرفش .
أطرق إيهاب مفكرًا:
- هديكي رقمي .
هَزّت رأسها بخَجل، ومزق إيهاب ورقة مِن الدفتر الخاص وقام بتدوين الرقم:
- أما تخلصي قراءة في الكتاب كلميني أخده منك.
حبست الحروف في حلق ريموند لفترة حاولت تجمع فيها شتات نفسها، هزت رأسها وهي تقول:
- ماشي.
حاول إيهاب فتح مجال للحديث فقال:
- في كلية إيه؟
تطلعت إليه بإندهاش وظلت تفكر بشرود للحظات، تشككت في كونه يراها على الأقل أربع مرات أسبوعيًا في المحاضرات، فلماذا يبدي تلك الحيرة في السؤال كأنه لم يرها مِن قبل ؟ عساه يكون قد نسى شكلها ؟
قالت بعد صمت:
- في طب . . كلية طب.
ثم استكملت سؤالًا ليس بداعي التعارف، بل لتدعي هي الأخرى أنها لا تعرفه:
- وأنت؟
- بصرة.
عبرت ملامح وجهها المفتعل على عدم الفهم فأكد إيهاب:
- برضوا في كلية طب.

ردت بإستغراب مُصطنع اكتسح وجهها:
- صدفة حلوة .
- فعلًا .
نَظر إيهاب لساعة اليد ثم قال:
- لازم أمشي دلوقتي عشان مش أتأخر عن المحاضرة وتقريبًا أنتِ كمان؟
- أنا كمان إيه؟
- هتتأخري.
- عن إيه؟!
- المحاضرة.
- أه
رن صوت دقات الساعة في أذنيها، فوجهت عينيها ناحية الساعة المعلقة واستكملت:
- فرصة سعيدة
- أنا أسعد .
أدارت وجهها وعزمت على المغادرة، قبل أن يوقف ذهنها مغادرتها فقالت:
- أنت عرفت أزاي ؟!
- عرفت إيه؟
- المحاضرة دلوقتي.
- أنا معاكي في الكلية ما انتي لسه قايلة لي إنك في كلية ط. . .
قاطعته بيقين واضح في نبراتها الهادئة:
- بس أنا مش قولتلك أنا في سنة كام.
هالة من الأرتباك أحاطته ثم قال بتقطع:

- أ . . أ . . مجرد توقع مش أكتر.

- آه

قالتها وابتسمت إبتسامة صفراء وهمت بالمغادرة قبل أن تستأذن بملامح وجهها بينما هو وقف يجفف العرق.

ومنذ ذلك الحين وهو يَجلس بالساعات بِجانب الهاتف منتظر أتصال لتجديد الموعد المُنتظر،في كل مرة يأتي اتصال يَتلهف ويَضع السماعة على أذنه وينتظر أن يَتحدث الطالب لَكن خُيبت آماله لأيام قبل أن يَبتسم الحظ، ويرهف السمع لصوت الهاتف بنبرة مختلفة كأن الهاتف يُميز الوجه الحسن الذي يتصل، أو يَستقبل موجات لاسلكية مختلفة، وبَعد العديد مِن الإتصالات والمقابلات أعترف لها، وتم عَقد الزواج دَاخل كنيسة القديس يوسف على الطريقة الأرثوذكسية، تَتذكر ريموند ذلك اليوم جيدًا، حفل العرس الخاص بهما، وسط الأهل والأخوات وأبناء الديانة، وبين صور الرب المرصعة على حوائط الكنيسة وأنظار السيدة مريم، كانت الكنيسة تبتهج في ذلك اليوم، أجتمعت الحشود ليشهدوا أكتمال الأكليل تحت مباركة القس، الذي جعلهم يَقرون إن نيتهما تأسيس عائلة صالحة تَخدم الكنيسة، ومِن ثم أعلن إيهاب بالقبول بعدما سأله القس، وبشيء مِن الأرتباك تحت أنظار الحَشد غَمْغَمْت ريموند هي الأخرى بالقبول، طمعًا في بركة الرب كَما بارك إبراهيم وسارة، وبعد ذلك تم تثبيت الزواج، وجَابت الزغاريد أرجاء الكنيسة حتى باحة الفناء الخارجي للكنيسة، على السجاد الأحمر المزركش وبين الورود المنهالة كالأمطار على الرؤوس، تتذكر ريموند إن تلك الزيارة للكنيسة كانت آخر مرة تقريبًا، وخلال تلك المدة لَمْ تَعتاد التردد إلى الكنيسة إلا نادرًا، حفلاً لإحدى صديقاتها أو أقربائها، أو عندما ذهبت

لتعميد أولادها هي المرات التي تعد على الأصابع، لَمْ تكُنّ مِن أهل التدين السليم، كان الشيطان يمهد الطريق وهي تَسلكه بِمحض إرادتها، لَمْ تَعُد تُتَمتم بالصلوات بتاتًا، لا تُقدس، لا تَذهب لقُداس الآحاد، تقوم بأعمال البر مِن حين لآخر، كما أن إقرارها بالذنب وطَلب الصَفح مِن الله عن طريق كاهن بغية الحصول على الإرشاد يكاد يكون منعدم، علاقتها مع المسيحية تلك الصور المعلقة للسيد المسيح والسيدة مريم والصلبان على الحوائط، وسلسة ذهبية في أخرها صليب صغير ترتديها حول عنقها فتذكرها بكونها تنتمي للديانة المسيحية، وفي بعض الأوقات تَتهم نفسها بأنها مسيحية سيئة أو زنديقة، ورغم ذلك تَخاف الرب وتَطلب الصفح والعفو مِن وقت لآخر، وفي خلال فترة وجيزة تتناسى وتعد لحياتها السابقة، تَستشعر إن كل تلك الحوادث خاصةً حادثة زوجها إيهاب، والكوابيس التي تَستيقظ منها مفزوعة ليلًا تَحذير لكونها مسيحية غافلة عن تأدية واجباتها نحو الكنيسة، وعلى عكس البُعد الرباني كان لديها صفاء للنفس، عاصية وهي تَعرف ذنب ما تَقترفه لكن وفي حقيقة الأمر إنها أضعف مِن أَن تجاهد نفسها، بِداخلها تناقضات كعلامات بارزة، سؤال الإجابة بعلامة (صح) أو (خطأ) الذي يقف الطالب أمامه متوترًا، يحاول الإجابة دون فائدة هو أقرب تشبيه بالنسبة لها، تَعرف التفرقة بَين الحق والباطل لكنها تحب الوسطية، تُحبذ الخير عن الشر لكنها تَقع في شرور أنفسها وسيئات أعمالها، تزهد عن الحياة وتبغضها لفترات لكن لا تَلبث أَن تَعود لحب الحياة، والحث على التأقلم والتأمل في ملكوت الله كفراشة خَرجت مِن شرنقتها للتو، تَعرف كيفية الوصول للرب والطريق القويم الصحيح السليم لَكنها تَسلك طريقًا مُغايرًا، لها مِن الذكاء ما يجعلها لا تتبع العامة ولا تسير خَلف

القطيع كالخرفان، لكن وبشيء مِن الكسل تسلك دربهم، تُمني نفسها أَن يكونا التوأمان صالحين لكنها عاصية، وبرغم أنها غير صَالحة وقليلة الذهاب للكنيسة ولا تُتمتم بالصلوات، ولَمْ تَذهب للأعتراف مُنذ خمس سنوات إلا أنها لَمْ تقترف إحدى الكبائر، وتحفظ الوصايا التي ذكرها يَسوع عن ظهر قلب (لا يكُن لَكَ آلهةٌ أخرى أمامي، لا تَصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما مما في السماء مِن فوق، وما في الأرض مِن تحت، ولا في الماء مِن تحت الأرض، لا تَسجد لهُنّ ولا تعبُدهنّ، لا تحلف باسم إلهك باطلًا، أذكر يوم السبت لتقدسه، أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك، لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد شهادة زور).

ويشاء الرب أَن يفرق بينها وبين إيهاب، الذي التحق بالملكوت نفس سبب التجمع، فمثلما تعرفا على بعضهم بين جدران الجامعة وتحديدًا تحت سقف كلية الطب، تفرقا عندما بُعث لبعثة تَخص الطب، بعثة طبية إلى لبنان، لعنة الرب على الطب تسبها ريموند مُنذ وقوع الخبر على مسامعها، تَتذكر عندما لَمْتَنم طيلة اليوم الذي سبق الحادثة، أغرقتها الكوابيس ليلتها، تَستيقظ مَفزوعة بِشَكل هستيري، وفي الصباح لَم تَعتد أَن يتأخر إيهاب في الأتصال بها تلك المدة كما هي عادته، هو مَن قال لها ذلك - أسبوع لا أكثر ولا أقل وسأكون حاضرًا بين يديكِ إن شاء الرب -، ولكن الرب لَمْ يشأ، طمأنها بإنه سوف يَتصل بها يوميًا في مِعاد إستيقاظها باكرًا، وبَعد تلك الليلة المليئة بالكوابيس، والتى لَمْ تَذق فيها طعم النوم مُطلقًا، ظلت ساهرة حتى شروق الشمس، انتظرت الاتصال بلا جدوى، فهمت هي مِن على الفراش وأخذت تُمرر أصابعها المرتعشة على الرقم الذي أجاب (هذا الرقم غير متاح حاليًا يمكنك الاتصال في وقت لاحق)،رمت الهاتف على

الفراش بغضب كسا وجهها، وظلت الأسئلة تدور في ذهنها، لماذا تأخر في الاتصال ؟ هل حدث لهُ مكروه ؟ لا، مِن المؤكد أن هنالك اجتماعًا طارئًا فمنعه مِن محادثتي واضطر لإغلاق الهاتف، هكذا كان يقول لها عندما يتأخر في الأتصال، وفي ذلك الصباح ظلت راقدة على الفراش دون حراك، تَتجرع مرارة الخوف والأنتظار، تُمقت الأنتظار، لا تُحب أَن تَنتظر ما لا يُحمد عُقباه، وبَعد فترة مِن الإضطرابات التى تَكبلتها والسجائر التي نفثت دخانها في الهواء بِغَضب، سمعت صوت هاتفها يرن، أسرعت لتستبصر عيناها رقم غريب، لعلّ هاتفه قد تَعطل وقد أستعار هاتف صديقه، كانت تقول لنفسها، وعندما رضخت لزر الإيجاب لَمْ يرن في أذنها صوته الحنون، ولا حتى الجملة التي كان يبدأ بها المحادثة (صباح الخير ريموند . . هل أنتِ بخير أشتقتُ لكِ)، بَلْ سَمعت صوت مُتهدج محشرج يتفوه بِحرف ويَنقطع لثوان مَرت كالسنين، تجعل وجهها يزداد احمرارًا مِن شدة الغضب، وبَعد فترة قال المتصل بعدما أستجمع بعض العبارات:

- أستاذة ريموند.

سكت لثوان ثم أصدر صوتًا مِن حلقه (أحم أحم) ثم استكمل:

- زوجك بين أيدي الرب .

عقلها تشتت، أنزلق الهاتف مِن على شحمة أذنها، وظَلت تُحدق في الفراغ، أرتكزت عيناها على لاشيء، ثم أنفجرت الدموع مِن عينيها كشلالات إنجل العظيمة، ولأيام مكثت في البيت، لا تقوى على التفوه بكلمة ولا الحركة، حالة شلل أصابت أعضائها، تلوذ بالصمت وتَستعمل لغة الإشارة بدلًا مِن الكلام، عيناها زادت عبوسًا ووجهها أصبح شاحبًا، وكست الهالات السوداء أسفل جفنيها.

قيل لها إنهم كانوا يَسلكون الطريق الرابض فوق (الباروك) أحد الجبال مِن ضمن سلسلة جبال لبنان الغربية الشاهقة، فإنحرفت السيارة عن مسارها، وقعت مِن على حَافة الجبل حتى أصبحت ككومة قش، ومِن يوم قِيل لها هذا الكلام بواسطة الناجي الوحيد، كانت تزورها كوابيس لَمْ تَنقطع لوقت طويل. تَنغمس في النوم، تحلم بشكل السيارة وهي تَنحرف عن المسار، وتستيقظ مفزوعة لصوت صرخات إيهاب في الحلم قبل أَن تَسقط السيارة مِن على حَافة الجبل الشاهق.

(١٠)

مَبنى جريدة الراعي.
الثانية ظهرًا.

مَمرات المبنى تعج بالناس، بَشر يَتخبطون بَعضهم البَعض في طُرق منحرفة ذات اليمين وذات اليسار، كان يَسير فيها عاطف بِمَلل رَتيب، زافرًا نفسًا في ضيق مِن وقت لآخر، متحاشيًا تِلك الأجساد المترهلة والضوضاء العارمة والمكاتب العابرة على جانبي الطرقة.
حَضر عاطف في الموعِد المراد، لَمْ يتأخر كعادته التي عُرف بها مُنذ تَولية مهام العمل، فعندما دقت الثانية ظُهرًا قد كان واقفًا أمام المكتب الخاص به لبضع دقائق، مُتمعن النظر في عيدان النسوة العابرات والمُنحنيات التي تَسحب عينيه نحوهن فتجعل الأبتسامة المعهودة تكسو مُحياه، ولَمْ يَقطع الخيال الخصب ولا الأفكار في ذهنه غير لَمعي الساعي الذي قال:
- مساء الخير يا أستاذ عاطف.
قلب تفوه لمعي ذِهن عاطف الذي قال في نفاذ صبر:
- مساء الخير يا لمعي.
- تؤمرني بحاجة؟
ضغط عاطف على رأسه وقال:
- قهوة سادة مِن فضلك يا لمعي .
- حالًا .

وقبل أن يغيب لمعي عن ناظريه أستوقفه تَعديل عاطف:
- خليها مظبوط.
هَز لمعي رأسه بزاوية منفرجة كالأراجوز قَبل أن يَختفي وَسط الممرات، دلف عاطف غرفة المكتب وأرتمى بِخمول على الكرسي الجلد الأسود الرابض أمام شاشة الحاسوب، بَسط ذراعه وضغط على زر التشغيل، فإنبعثت أضواء مرتعشة مِن الشاشة الضَخمة قبل أن تَستقر وتفتح نافذة أخرى مِن العالم، يَجلس عاطف أمام مَكتب فَاخر عليه قطعة مكتوب عليها الأسم بِخَط ديواني على رُقعة مِن حَجر الرُخام، وفى الخَلف زُجاج الباب والنافذة التي لا يَتعدى عرضها مترين تُتيح معرفة ما يَدور خلفها ولو بالقرب مِن المكتب في الطرقة، التي يشاهد فيها عاطف المارين على بلاط الطرقة الماثلة أمام ناظريه.
عَادة ما يكون المكتب الذي يَخص شَخص غِير مبال، كَسول، منهمك طوال الوقت، قُل ما يحلو لك.
أوراق بَيضاء محبرة ضلت(دوسيه) مُعين، أقلام نفد بها السائل الحبري تترامى حَول سلة القمامة؛ لعدم قدرة عاطف على (التنشين) بداخلها، وفناجين قهوة تَمحض بها البُن مِن طول الوقت على رِكودَها دون أن يَرتشفها، وكُؤوس شاي مَدفون بها أعقاب سَجائر وأعواد ثِقاب لا حصر لها نفت مهمة صندوق القمامة فقامت الكُؤوس بالمهمة رغمًا عنها، خَلّع عاطف القميص مِن حرارة الجو وقام جاعلًا هندامه يعانق الكرسي، ضغط على زر بالقرب جعل المروحة تنشر هواء منعش أستعشره تحت الفانلة البيضاء الداخلية التي يرتديها، سَمع صوت طقطقات عموده الفقري وهو يَعتدل في الجلسة مُحملقًا لشاشة الحاسوب.

ثَبت عوينات للقراءة الجيدة، يَستخدمها خصيصًا للقراءة التي يَتفرغ لها، ويَعطي لها نصيبًا كبيرًا مِن الوقت يساعده على الإحاطة بِجَمع معلومات تَخدم مجال عمله سواء المعلن أو الخفي، غير إنه يستخدمها أيضًا للمكوث أمام الحاسوب لساعات طويلة في إنجاز العمل .

قبَّل سِيجارة بفمه وأشعلها بعود ثقاب تراقص لهبه في شاشة الحاسوب ثم أطلق أنفاس متعاقبة ليشعل جزء مَضمون مِن السيجارة، لَوح بيديه ناحية اليمين واليسار ليطفئ عود الثقاب المُشتعل وهو يغلق عينيه.

لعاطف عينان غائرتان تَقطن بها دموع تأبي السقوط على الخد المكتنز، وتزدهر عيون زرقاء كسماء صافية أسفل جِفن مترهل مليء بالسواد أسفله، مما أضاف لمسة مِن العبوس والشحوب، يَمتلك رموش طويلة وكثيفة، ويَعتلي عينيه حاجبين سميكين كَسُحب ملبدة بالغيوم السوداء، ويعاني مُنذ زمن مِن طول النظر.

يَعمل عاطف مُحررًا لجريدة مَحلية قديمة العهد تسَّمى الراعي، عَمَل صَعب وشاق يَلزم الدقة بِصورة مفرطة في دوائر مختصة لتحرير موضوعٍ ما، يَبحث عن أخبار لَمْ يَسبق أحد معرفتها، وعَن معلومات وأحداث ووقائع مثيرة ترضي غِرور قارئ الجريدة، لذلك يَجلس بالساعات يُمعِن النَظر في شاشة الحاسوب تارة والأوراق المُبعثرة على المكتب تارة أخرى.

أنتزع الساعي عاطف مِن التفكير وهو يَفتح الباب ويَضع فنجان القهوة المضبوط على المكتب، وبإحترام مُبالغ قال لمعي:

- فنجان القهوة المظبوط و بوش يا أستاذ عاطف .

أومأ عاطف برأسه وهو يركز بصره على الأوراق أمامه:

- شُكرًا يا لمعي.

هَم الساعي بالخروج وأنصب أهتمام عاطف على الأوراق بصورة مفرطة، ومرر بصره عليها ليقرأ محتواها، لكن وقع في أذنه صوت لمعي يعود ليقول:

- صحيح يا أستاذ عاطف كُنت هنسى.

قال عاطف وهو يدقق النظر في الورقة:

- إيه اللي كُنت هتنساه يا لمعي؟

صمت لمعي قليلًا، كأنه يَستعيد الذاكرة:

- أستاذ مازن جالك في المكتب قبل ما تِحضر بحوالي ربع ساعة كدا وسأل عليك، فقولت لهُ إنك لسـ .

قاطعه عاطف:

- مهو عارف إني باجي الساعة ٢ . . مستناش ليه!

- معرفش . .

سكت لثوان ثم تذكر وأستكمل لمعي:

- قال إنه هيروح مشوار في السريع وجاي تاني.

تنحى أهتمام عاطف هذه المرة عن كلام لمعي، فقط أكتَفى بِهز رأسه علمًا بأنه قد سمع، وعاود التركيز في ما بَين يديه مِن أوراق لها صِلة رسمية بشؤون بَعض الأعمال التي لَمْ ينجزها بَعد، وأوراق أخرى تَختص بالكنيسة وللقس أرميا، كما بدا على عاطف التعب فرفع النظارة ومسح عينيه ثم جَعل النظارة تستقر مكانها، ومِن ثم دَوَّنَ بَعض المُلاحظات في نهاية الورقة، دسّ سيجارة في فمة غير التي طَمسها في المِنفضة، وراح يسحب نفسًا عميقًا ويحبسه بإرتشاف، رشفة مِن القهوة، صانعًا مزيجًا مِن النيكوتين والكافيين في جَسده، وبالرغم كُلَّ التَحذيرات التي قالها الطبيب كان يَتَقَاعس عنها، ويشره في نفث السجائر وممارسة الرياضة كتعويض مِن وجهة نظره عَن

الضرر الذي تُسببه السجائر، فكان يَعشق الأكل الذي دائمًا يُسبب لهُ التُّخْمة بجانب الرياضة التي يمارسها مِن وقت لآخر. يومًا أو يومين في الأسبوع على أُقل تقدير في صالة (أوليمبك) لكَمال الأجسام في مصر الجديدة، مِثلما كان يدمن جميع أنواع المدخنات ويحبها حبًا جمًا، الملفوف منها بواسطته والمَصنوع مسبقًا، يأخذ النيكوتين مِن جسده حيزًا كبيرًا، يغزوه كما تغزو الجيوش البلاد، يَنتشر في العروق ويَختلط في الدماء مِثلما يَدُس المدمنين السِرنجات في عروقهم، ويَنتشي مُتلذذًا برائحة الدخان كما لو إنها رائحة القرنفل العطرية الزكية، فَجميع أنواع (مسببات السعادة) كما يحلّو أَن يَطلِق عليها شَرع بالإقبال عليها، مَاركات علب السجائر بِمختلف أنواعها وأسمائها وغلاويين بأشكال وأحجام مُختلفة تتراص على أرفف منزله في جزء مخصص لها مكتوب عليه (تحذير. . ممنوع اللمس)، كأنها لوحات تعرض في متحف اللوفر الباريسي الشهير.

اقتحم مازن بدون أستئذان المكتب بوجهه البارد الجامد، وشعره الغزير الذي يعقصه خلف رقبته النحيفة الطويلة، يَميل للطول أكثر مِن القصر، لَمْ يَكُن ذِهن عاطف حاضرًا فأكتفى فقط بالنظر عَبر طرف عينيه إلى وقفته، وبادله ابتسامة، ليُجاري أبتسامته المُنفرجة على شفتيه. جَلس على الأريكة الموضوعة في المكتب وقال:

- أخبارك إيه يا عاطف.

رد عاطف وهو يحاول أنْ يتحاشى نظره:

- كويس حَامدِينه.

سكت للحظات وقال وهو يتظاهر بقراءة ورقة:

- وأنت؟

قال باسمًا:
- بخير.
طفا السكون مرة أخرى لدقائق تَطلع فيها مازن للسقف، كأنه يستكشف ألوان الطلاء، ثم ألقى نَظرة مستكينة على عاطف ولاحت أبتسامة على وجهه:
- شكلك مشغول.
- فعلًا والله مشغول جدًا . .
أومأ مازن عدة مرات برأسه، ثم وَضع رجل فوق الأخرى وهو يقول بغطرسة ليس لها معنى:
- ممعكش أولع أصل مش لاقي ولاعتي.
تَحسس مازن جيب قميصه وهو يقول:
- كُنت حاطتها في جيبي قبل ما أنزل مش عارف راحت فين!
نظر عاطف للقداحة الموضوعة على المكتب وزفر في ضيق وقد تجمع في حلقه سباب العالم أجمع بكُلّ لغاته، حاول التماسك ثم قال:
- غازها خلـ . . .
قاطعه مازن قبل أن يكمل:
- ولا علبة كبريت؟
نظر له عاطف والشرر يتطاير مِن عينيه:
- أخر واحد لسه مولعّ بيه سيجارة.
سمع مازن فلم يجد بدًا مِن محاولته السمجة، أخرج علبة سجائر فاخرة ووضع واحدة بين إصبعه، وناول أخرى لعاطف الذي أمتنع بعدما نظر للطقطوقة الموضوع بها سيجارة توجه مؤخرتها للسماء، وقد تآكلت حتى

مُنتصفها دَوْن أن يأخذ منها عاطف نفسًا منذ أقتحام مازن المكتب:
- لا شكرًا . . السجارة لسه مخلصتش.
نظر إليه وهو يقول بهدوء:
- على وشك .
قاطعه عاطف بعدما أستبد به الغضب:
- هطلب أما أعوز
هز كتفيه:
- زي ما تحب.
تحسس مازن جيب سرواله:
- كُنتي فين يا شيخة .
أنتبه عاطف فقال مازن وهو يشعل سيجارته:
- كانت في الجيب إلي ورا.
نظر عاطف غير مكترس بما قال، وبنفس التؤدة وضع السيجارة في فمه لاثمًا إياها بين شفتيه الغليظتين، وبنظرة ساهمة للزجاج أشعل القداحة وشرد لوهله في لهيب النيران المُنبعث منها بعينين هائمتين، وقرب النيران مِن طرف السيجارة كأن يده تَعرف الطريق، شد نفسًا توهجت له السيجارة إثر إحراق التبغ، ثم نفث الدخان في الهواء برعونة وغمغم قائلًا:
- حاسك مضايق مِن حاجة.
أردف مازن وأنسحب بدبلوماسية معهودة فقال عاطف مُجاملًا:
- بالعكس .
تشكلت يد عاطف ككأس ووضع ذقنه فيها وأغمض عينيه ليقطع مازن سكون عاطف:

- لسه مخلصتش اللي قولتلك عليه؟
قالها مازن مُقتحمًا كُلّ شيء في حياة عاطف المهنية، دخول المكتب بلا إستئذان، واقتحامه العزلة النسبية أيـضًا، فـخ حقير وضع لعـاطف، نواة لا تهدء وتتنافر ذراتهـا، أو ربـما يـشـبه زئبق يَطفو على سَـطح مـياهراكـدة.
يعملان معًا في نَفس الجريدة، ولكون جريدة الراعي مِن أشهر الجرائد المُعاصرة، فكانت لا تُجري مقابلات بدون شهادات تَخرج لكلية الإعلام التي حَصل عليها عاطف مِن جامعة القاهرة قَسم الصحافة والنشر، وشهادة خبرة لمليون سنة لابد أن تَكون حاضرة أيضًا، إلا هذا المازن خريج حديث العهد مِن كلية الحقوق، بالإضافة إنه راسب سنة، وعلى الرغم مِن رفض عديد المتقدمين الحاصلين على شهادة الإعلام للجريدة سنويًا إلا مازن الذي تم قبوله وتعيينه (بالواسطة) للصلة التي تَجمع والد مازن برئيس تحرير الجريدة، كانت شخصية سمجة ومنفرة لحد لا يطاق، يَتجمع نهر مِن اللعاب في حلق عاطف عندما يرنو مازن منه، ويود لو في مرة يَبصق ذلك الشلال في وجهه عندما يلمح قدومه، غبي لدرجة إنعاطف لَمْ يَرى مثل درجة الغباء التي يستحوذ عليها، لابد أن معدل درجات الذكاء بالنسبة له يُشار إليه بالسالب، ينبع منه غباء، حقد، غل، غرور، إستعلاء.
- هي خلصت بس سبني أعدل لك فيها كام حاجة
قالها عاطف بفتور فتبسم مازن وهو يومئ برأسه إيجابًا ثم نطق:
- خد وقتك
سكت لبرهة ثم هتف مازن قائلًا:
- متنساش تكبر اسمي شوية في نهاية الحوار، حوار مع سعيد المندور وزير الصحة مش سَهل.

عم الصمت عندما توقف عن الحديث وسحب نفسًا مِن السيجارة وأستكمل مسترسلًا:

- وخصوصًا بعد صفقة الأدوية الفاسدة .

أطلق عاطف زفيرًا حادًا وقال مُحتدًا:

- تَكبير وتصغير الخط مش مِن أختصاصي يا مازن.

حدق إليه مازن بعينيه المتوهجتين خلف دخان سجائره، وأتلف عاطف سيجارة لَمْ يَنفد تَبغها بَعد، وقام لاعنًا في سره الظروف التي جمعت مازن معه في العمل، لَمْلَمْ عاطف الأوراق المبعثرة، وتفادى مازن الذي ترك في المكتب يناجي نفسه كراهب بوذي قبل أن يرجع عاطف مرة أخرى.

فقال مازن بسخرية وهو يسلط طرف عينه على عاطف:

- نسيت حاجة؟

رمقه عاطف بإشمئزاز وأردف:

- القميص .

أخذ عاطف قميصه الكتاني وذهب إلى منزله.

* * *

عَادت ريموند مِن الفلك الذي كانت تَسبح فيه، استردتوعيها للعالم الحقيقي، وتَسربت ذكرياتها مِن ذهنها عندما شَقّ لحّن الموسيقى أذنها ودار قُرص الفونغراف المذهب المغطى بالأتربة دون أن يَقترب منهُ أحد، مَع صوت أحتكاك بَسيط في القرص الدوار، أنسابت أنغام الموسيقى في الأرجاء، كانت نَفس الموسيقى التي كانت تَسمعها مع إيهاب قَبل أن يتوفى، كان يُفضل ذلك اللحن ويحب ترديد كلمات الأغنية، وخاصة الجزء المعين الذي لطالما كان يقف عند كلماته ويقوم بتلاوته بشفتيه على ريموند، أستغربت ريموند

في بادئ الأمر، وقفت مشدوهة لثوانٍ مَعدودة عاقدة حاجبيها بإستغراب، فونغراف عَتيق لَمْ يُستعمل مُنذ زمن، ومكسو بالأتربة يَعمل مِن تلقاء نفسه !، مَنْ وَضع القرص في الآلة ؟ ومَنْ جعلها تعمل؟ غير إن الأغنية لَمْ تبدأ مِن البداية بَلْ مِن الجزء الذي كان يتغنى به إيهاب ! لكنها طردت تِلك التساؤلات عَن ذهنها، وكما هاجمت الهواجس عقلها، نَفضت أتربة الذكريات وأرهفت السمع لإنسيابية اللحن وكلمات الأغنية وهي تتفاعل برأسها مُتمتمة للكلمات بشفتيها القرمزيتين.
وكما صدحت الموسيقى بمفردها أختفت فجأة.

* * *

بعد ساعات.
ليلًا.

كانت حياة ريموند مَليئة بالرغد والنَعيم والإرث الذي تَركه لها زوجها، لَمْ تكُن تُعاني مِن ضَائقة مالية أو عَجَز في الأموال، فقط تُعاني مِن فَقد، فَقد الزوج، فقد البِذرة الصالحة التي جَنتها مِن الحياة، النبتة المُقدسة التي زهرت في معبد قلبها المقدس، فَقد الحب الذي وُهِبَ وانتُزع بدون سَابِق إنذار، فقدت الجزء الصالح في حياتها، وأنبرى الجزء الغامض في شخصيتها، مَتاعب ومشقة الحياة أصبحت جلية على حياتها في سِنها المُبكر، تركها إيهاب تَرعى الطفلين والبنت الصغيرة وهي تتجرع مرارة البؤس، وتلوذ بالصمت عن الأسئلة التي كان يتم توجيهها إليها عن طريق الأطفال الصغار، أين والدي يا ماما ؟ هل سيأتي بقطع الحلوى ؟ لِمَ تأخر بابا إلى هذا الحد ؟ كانت كثرة الأسئلة التي يوجهها الأطفال تمزق روحها، تبعثر جسدها لأشلاء

كما يبعثر الهواء خصلات الشعر، تَستشعر وجود غصة أو سيف اقتُلع مِن خمده وتَسرب إلى جسدها، فمزق أعضائها بوحشية وعبر للجهة الأخرى، أما الرد وكالعادة التي لَمْ تَعرف سواها، وَجَه لَمْ يَتبدل حاله كدمية يتخذ وجهـها شبح أبتسامة لا يتغير، تلفظ بكلمات تتكرر كلما ضغط على زِرها.
أنتبهت ريموند على صرخة وقَعت على مَسامعها أوقفت أعضاء جسدها الحيوية، شَتت تفكيرها، وعيناها تكاد تنقلع مِن محجريهما.
قامت مُتلهفة جاهلة مصدر الصوت وفي غياهب ذهنها (على الأرجح الصوت يأتي مِن الصالة).
- في إيه مالكم؟!
قالتها ريموند عندما وصلت، رمقت أيدي الطفلين متقرحة وبها خدوش طفيفة، وعيونهما تنزلق منها دموع، وحنجرتيهما تَبعث صرخات مكتومة، هرولت وأصطحبتهما إلى غرفة بها خزانة للإسعافات الأولية، فتحت الدَرفة وأنتقت مطهر دهني مَسحت بهِ على جروح الطفلين، اللذين تأوها، ثم قالت الأم وعلامات الأستفسار تغزو وجهها:
- إيه اللي حَصل؟
تبادل الطفلان النظرات في سكون تام وصمت خيم عليهما، منتظرين أن يبادر أحدهم بالتفوه بما حدث فأعادت ريموند السؤال بلهجة صارمة:
- عايزة رد، إيه اللى حَصل؟!
نَكس عادل رأسه في الأرض بينما تجرأ بيشوي:
- عادل اللي غلطان يا مامـ . .
قاطعه عادل وقال بِحدة وعيناه تَشع غيظًا:
- بلاش كدب يا بيشوي، أنت الغلطان، أنت اللى ضربت القطة الأول.

أطرق بيشوي مُفكرًا ريثما يستطرد بعض الكلمات ليستكمل بها خِداعه فقال بتهدج بعد فترة:

- أنت اللي كداب . .

أستمع عادل غير مصدق مَا يقال، واستكمل بيشوي مسترسلًا في الكذب، ظل يَدس الكلام في عقل ريموند حتى انفجر عادل بدون سابق إنذار، وسدد كلامه:

- أنت كداب، أنت السبب، صدقيني يا ماما هو السبب، هو اللي ضَرب القطة .

بَدأ الطفلان يتبادلان الأتهامات، وإلقاء اللوم على بعضهما البعض أمام الأم، فصَرخت ريموند قاطعة التذمر ثم صاحت بصوتٍ عالي عنيف في وجهيهما:

- مش عايزة حد ينطق . . خلاص . . ويلا على أوضتكم.

نظرت في وجهيهما ثم صاحت:

- مَفهوم .

تبادل الطفلان هز الأكتاف، وقالا بوتيرة واحدة بعدما نكسا وجهيهما في الأرض:

- مفهوم .

نَهر ريموند وطريقة حديثها للطفلين جَعلتهما يَحشران الكلمات في حلقيهما وهما ذاهبان تجاه غُرفتهما، فقد دمدما ببعض الحروف غيرالمفهومة حتى دلفا باب غرفتهما، فقال عادل بنبرة عتاب فيها حِدة:

- أنت على طول كداب يا بيشوي، هتتعاقب مِن ربنا .

قاطعه بيشوي بتحدٍ:

- وأنت كمان كداب، وكلنا هنتعاقب مِن الرب، مفيش فينا قديس عشان

يتهم التاني ويبرء نفسه ويدعي المثالية
لَمْ يعر عادل كلام بيشوي السخيف على حَد تَعبيره أدنى أهتمام، أشاح بوجهه، وأخذ شرشف سريره وهو يقول بصوت خافت لينهي الحديث كما لو كان ينهي الحديث لصالحه:
- كذاب.
قالها عادل وهو يَسحب ساقيه إلى الفراش الموجود بالغرفة، كانت الغرفة متوسطة إلي حد ما، خمسة أمتار طولًا، وثلاثة عرضًا، وبها فراشان متجاوران لِكُل واحدٍ منهما فراش، يَفصل بينهما مَمر صغير عرضه نصف متر تقريبًا، وبينهما كومود صَغير موضوع عليه منبه صغير وأباجورة ذهبية اللون.
وكما هي العادة نَزل عادل تحت الشرشف كما ينزلق الطفل مِن رحم أمه، كان خائفًا كعادته، تتلاعب بعقله العديد مِن السيناريوهات المرعبة التي نغصت عليه أيامه فجعلت الكوابيس تزوره مِن وقت لآخر، لا ينقضي أسبوع إلا وحلم بكابوس أنتفض مفزوعًا مِن شدته، تارة يَقتل وتارة أخر يُقتل، يتذكر ذلك الحلم الذي زاره مِن قَبل عندما كان في هيئة مصاص الدماء والفضل كل الفضل يَرجع إلى بيشوي الذي جعله يشاهد معه ذلك الفيلم في تلك الليلة.
وفي نفس الليلة عندنا راح في سباته رآى كابوسًا بحق، عاش الفيلم مرة أخرى، ولكن الفرق أنهُ هو مَن جسد الشخصية وقام بالتمثيل في الحلم، كانت أسنانه تسيل منها الدماء بدلًا مِن اللعاب، ونانياه مدببين خارج فمه، ويَهم بِقتل جميع مَن يراه، وعندما استيقظ فجرًا في تلك الليلة التي زاره ذلك الكابوس صارخ بأعلى صوته، تَحسس جسده بلهفة حتى فزع بيشوي، وما لبث أن أفاق حتى بدأ في الإستهزاء بمدى الخوف الذي يَنبع مِن داخل

عادل، كان لهُ خيال خصب قد يجعل منه كاتبًا كبيرًا مشهورًا ذات يوم بسبب ما يجول في ذهنه مِن تكهنات.
كان يوميًا يقاوم العتمة تحت الشرشف حتى يأتي النوم بغتة بعد إرهاق يضاهي إرهاق عَدَّاء أوليمبي في سراع مائة متر حواجز رجال.
لَمْلَمْ أطرافه مِن خارج الشرشف حتى لا تعبث بها العفاريت كما كان يعتقد في قرارة نفسه، وكوم جسده جاعلًا ركبتيه تُلاصق صدره كشكل الجنين في بطن أمه، أما بيشوي فإبتسم بِسخرية وضغط على زر الإضاءة فتعتمت الغرفة، فتح الأباجورة التي جعلت بصيص مِن النور يضيء ليجعل عقل عادل كأعشاش للنمل مِن كثرة التخيل والخوف، أما بيشوي حَدق في سقف الغرفة متأملًا الطلاء حتى غلب عليه النوم هو الآخر بعد ربع ساعة.

* * *

أستيقظ بيشوي عِندما نَشّب الفجر خِيوطه بِدون الاستعانة بأجراس المنبه الرَاكِد بِجَانبه على الطَاولة الخَشبية، والمَضبوط على السادسة صباحًا لوجوب ذَهَاب الطِفلين إلى المِدرسة في هذا الوقت تحديدًا.
وفي نَقاء هواء الفجر وهدوء يُخيم فى المنطقة بالخارج وتحت قَمر يَبعث بَصِيص مِن الضَوء لشُرفة الغرفة، فتح عَينيه بإعياء مُصاحب لصُداع مُزمن، وتَحَامل على ذِراعيه وأزاح غَطائه الوَثير ليُقاوم إسْتكمال نومه العميق.
جَلس على الفراش لا يقوى على فتح عينيه، يَفرك جِفنيه بيديه ليحاول فَتحُهما بدون تلك الصورة المشوشة، وعندما فتحهما صُعق.
تَسربت إلى جَسده قشعريرة مما وقع في مَجال بصره.
أدرك لِفوره إنهُ لَمْ يَكُن هو وعادل بِمفردهُما في الغرفة، أتسعت عيناه عندما شاهد قطة قاتمة السواد بعينين تُشبه إلى حدٍ كبير عيون البوم تَلمع

في ظَلام الغرفة المُبدد، وبجانب القطة ظَهر رَجُل يَقف بِمُحَاذاتها، أظهرت مَلامح وجهه مَدى شيخوخته، التجاعيد غزت وتراكمت في وجهه الشاحب، يَلبس جِلبابًا أبيضًا مُرقعًا مُتسخًا ينتهي أسفل ركبتيه التي يَظهر بها شَعر أسود غزير، وخصُلات لحية خليطًا مِن اللون الأسود والأبيض كما إن لحيته مِن الجائز إنها لها صِلة بالنتوء الذي يظهر في بطنه (السِّرَّة) لشدّة قُربها منها، كالمجذوب أقرب ما تكون هيئته.

تَلفت في جَميع الإتجاهات بِخوف ودَقات قَلبه تَتَسارع، ورغم الطقس البديع فجرًا إلا إنهُ استشعر إنه يَقطن في إحدى مُدن إفريقيا الحارة أو لعل انفجر بداخل جسده بُركان أطلق حممه البُركانية، شَعر بضيق تنفس مِن كثرة الوقت الذي كَتم فيه أنفاسه، أصبح الشهيق صعبًا قليلًا كما لو إنه يَتسلق جبلًا عاليًا، أو إنه في أعلى عواصم العالم (لا باز) عاصمة (بوليفيا) التي ترتفع عن سطح البحر قرابة ٣٧٠٠ متر وتصل في أطرافها إلى ٤٠٠٠ متر.

كادت رأسه أن تتفتق، وفي قرارة نفسه يعلم إن ذلك عقاب وَحق عادل الذي يذهب للنوم يوميًا خائفًا مُتأثرًا بِمَا يلق منه، ولو لَمْ يَكُن بيشوي خائفًا مِن الحراك، لكان أذعن بما في قرارة نفسه ونَزل تحت الفراش أو ركض بغير مَقصد.

بَعد ثوان قليلة مرت عليه كإنها قرون، تَلفت جهة عادل النائم، الذي كان يُصدر صَفيرًا مِن فمه، همس في عتاب كأنه يلوم عادل، وعيناه مغرورقتان بالدموع:

- عادل.

خطف نظرة للرجل وأستكمل:

- أصحى.

وجزاءً لما كان يفعل، لَمْ يجب عادل، السابح في النوم، بأكثر مِن تبديل هيئة النوم إلى الجهة الأخرى، متحاشيًا النظر إليه وهو يُبرطم بالكلمات، أما بيشوي رَاَح يُعيد النداء بصوت أرتفع قليلًا عَن المرة السابقة، وفي كُل مَرة يقوم بالنداء يَلمح الرجل الرابض في رُكن الغرفة، وبَعدما فَقد الأمل حَبس أنفاسه، عاود النظر للرجل، أمتقع وجهه وأطلق لسانه للأمام مِن شدة الذهول، حيث ركض الرجل والقط بسرعة، أطلقا سيقانهما للريح، وبيشوي يُشاهد جُل ذلك، في بادئ الأمر كان لو إنهم في سباق مُنفرد لكن الأنكى ظهور باقي المُتبارزين، جَمع مِن النَسوة يَلحقن به، كان بعضهن معقود حول عنقهن قطعة قماش ومُغمضاتَ الأعين، وواحدة منهن مغروزًا ببطنها سكينًا، وتنزف دمًا بغزارة، وتود لو أنها تَقتلع تِلك السكينة الساكنة في بطنها، كانت وجوههن موحشة لدرجة لا تُطاق، تَبث الفزع والرعب في نفس بيشوي التي قاربت على الهلاك، حَدق فيهن حتى شعر بالغثيان ولَمْ يَتمالك نفسه، يُفكر أن لا مَفر مِن هجوم تلك النسوة عليه بعد أن يَقتلن الرجل ويقمن بحفلة شواء.

دموع تسيل على خديه، أنفاس مُتلاحقة قاربت على الأنقطاع، وجَسد يَرتجف بصورة مُزرية كزلزال يضرب الأرض بقوة ٧ على مقياس ريختر، وبآخر ما تبقى مِن الشجاعة تَحرك ببطء مُلملمًا أطرافه تحت الغطاء، وعذاب التخيلات يُفجر رأسه، تكور تحت الغطاء فلَمْ يعُد يرى لا رجل مجذوب ولا قط أسود ولا نسوة يركضن، يَعلم أن كُلّ شيء موجود خارج الغطاء، فإحتياطًا أخذ الغطاء كدرع يحجب عنه كل تلك الأشياء المُريبة، ولو لثوان يَجمع فيها شتات نفسه، تَمنى لو أن الأحداث التي رآها بأم عينيه

تكون مَحض خيال، وفَكر مليًا في كونه في كابوس يَلعب فيه دور البطل، فحاول أن يَقنع نفسه إنهُ في واحد مِن الكوابيس التي تَقتحم أحلامه مِن وَقت لآخر، ويَستيقظ منها مفزوعًا لكن هذه المرة لَمْ يَستيقظ.

ما يُشاهده، وما يَستشعر به حقيقي وبئس المصير يَنتظره دون شفقة.

قَبل الموت بقليل تولد حياة أخرى، وقَبل شروق الشمس قد كان الظلام يبدد دُجي الليل، ينتهي الصُراخ بسكون، وتَنعم السماء بصفاءٍ لامع بعدما تُزرف السُحب المُلبدة ما بها مِن أمطار، وبَعد الحياة تكون الجنة أو النار.

لذلك كانت الجنة بالنسبة إليه إن أجراس المِنبه لَطم رنينها لِحَاء مُخه، عندما وقع العقرب الكبير على الساعة السادسة صباحًا، فإنتفض وهو يُزيح الغطاء بِغير إرادة مُستكشفًا الغرفة ببعض النور الرباني، الذي ظهر مِن الشرفة.

لَمْ يَجد رجُل.

ولا قط.

ولا جَمع النسوة!

في ذلك الوقت قَد كان عادل على شفا حفرة مِن الوقوع عن الفِراش قبل أن يَتفادى السقوط ويرتكز على ساعديه، تثائب وهو يدلك عينه المكسوة بالقذى، أُدير مِزلاج الباب فتنهد بيشوي وتحجر بصره ناحية الباب الذي دخلت ريموند منه:

- عادل، بيشوي أصحوا .

قالتها ريموند فإستجاب عادل، ولَمْ يَنهض بيشوي الساكن على الفراش، رَمقته ريموند بنظرة استغراب ثم أعادت الكلام بغلظة، فتَحامل وجَلس على الفراش قائلًا بِخَوف وصوت مُتقطع:

- ماما .

عقدت ريموند حَاجبيها وكست علامات الأستفسار وجهها، اقتربت ببطء ثم قالت:

- في إيه يا بيشوي ! مالك؟

لَمْ يَتكلم بيشوي ظل ساكنًا مكانه:

- مالك يا بيشوي، إيه اللي حَصل؟

- ثواني يا ماما.

قالها بيشوي، تَحرك على أطراف أصابعه إلى بَاب الغرفة، اشرأب بِعنقه خارج الغرفة بينما جسده مبتلعًا داخلها تحت نظرات ريموند المُستريبة، وبنفس الخفة ودون أن يُلامس الأرض، رَجع إليها وهو يُشير لأحد أركان الغرفة قائلًا بِهَلع:

- ظهر في الركن دا يا ماما

أتسعت حدقتا ريموند في ذهول:

- مين اللي ظهر يا حبيبي!

- في الركن دا، راجل شكله مُخيف ومعاه قطة سودا .

قاطعته ريموند:

- رَاح فين؟

- هرب .

- هرب! هرب راح فين؟

- معرفش أنا نزلت تحت البطانية ومشوفتش حاجة بعد كدا.

أبتسمت الأم بسخرية:

- مَتخفش يا بيشوي دا مُجرد كابوس، تلاقيك كنت بتحلم.

- لا يا ماما مكنتش بحلم، أنا شوفته .
- أمال هو راح فين يا حبيبي؟
- ممكن يكون هرب هو والقطة مِن الستات اللي كانوا بيجرو وراه .
قاطعته:
- ستات؟
- أها.
- وهما فين الستات دي!
- معرفش هـ . . مـ . . هما كانو بيجروا وراه وكان شكلهم مخيف
- كانوا عاملين ازاي؟
- ستات كتير بيجروا وراه عيونهم كانت مختفية يا ماما وواحدة كانت معاهم بتجري وراهم وفي سكينة في بطنها.
تجلت ابتسامه تُغطي وجه ريموند:
- متخفش يا حبيبي دا كابوس، مفيش حد هنا .
- لا يا ماما مكنش كابوس، كنت شايف كل حاجة قدام عيني، مكنتش بحلم .
سكت لثوانٍ مُحاولًا جَمع شتات نفسه ثم أردف بنبرة حزينة وعيناه تترقرق:
- صدقيني .
- متخفش يا حبيبي.
قالتها وَلَفت ذراعيها حوله، وهمست مُباشرةً في أُذنه بصوت حَنون:
- كُلنا معاك .
فك العناق ورفع بؤبؤعينيه لوجهها:
- أنا خَايف يظهرلي تاني يا ماما.

أنزلقت بعض قطرات الدموع مِن عين الطفل وهو يُكمل مُرتجفًا:
- مش عايز أنام تاني في الأوضة دي يا ماما، خايف ليظهرولي تاني، أنا عايز أنام في الأوضة معاكي .
- قولتلك متخفش مفيش حد هنا.
قالتها ريموند بِعتاب وعيناها شاخصتان على بيشوي الذي قال في تحدٍ مؤكدًا كلامه:
- بس أنا مكنتش بحلم .
- خلاص مش عايزة أسمع صوت تاني، ويلا علشان تلحق تفطر وتلبس عشان تروح المدرسة .
هَم أن يسترسل فقاطعته:
- مسمعش صوت تاني، ومتفتحش السيرة دي مرة تانية .
قالتها وهَمت ريموند خارج الغرفة، جَلس بيشوي على الفراش مُلتفتًا برأسه في زوايا الغرفة، وبَعد مرور دقيقة قَام وذهب إلى المرحاض، كان مرحاضًا صغيرًا يوجد به مرآة أمام الحوض، فتح بيشوي الصنبور فتدفقت المياه الساخنة وغطت طبقة مِن بُخار الماء المُتصاعد مرآة الحوض، شمَّر ثوبه، ونَزل برأسه تحت المياه، غسل وجهه ووقف مُتذكرًا ما حَدث، مَسح بأصابعه البُخار فظهرت صورته، شرد لوهلة قَبل أن يَسمع صوت قائلًا:
- يلا يا بيشوي بسرعة .
أنتبه مِن شروده وترك صورته في المرآة، ظلت صورة بيشوي ظاهرة على المرآة قَبل أن تَختفي ويظهر مكانها صورة لامرأة بَشعة المنظر، عيناها جاحظتان وحمراوتان، شعرها مُبعثر على ثدييها وكتفها، غير الدماء التي تتناثر على لِباسها الأبيض.

عندما وَصَل لطاولة الفَطور، سَحب الكرسي وجَلس بِرِعونة وبدأ الأكل بِتَكاسل، ورغم أن بيشوي كان يَتضور جوعًا إلا إنهُ لَمْ يَذْق غير القليل الذي لَمْ يَسد فراغ جوفه ولَمْ يَستسغ الطَعام فقط أخذ شَطيرة مُسطرة بالجُبن وَرَاح يَقضم مِنها لُقيمات يَمضغها بَين فكيه مِن حِينٍ لآخر، وما أن لاحظت ريموند شروده الذي بدا واضحًا عليه، وضعت المعلقة في الصحن الموضوع أمامها، ثم رَفعت طَرف عينها وقالت:

- مَبتاكلش ليه يا بيشوي؟

تَلقى كلمتها كصنم، شارد ولا حَركة تَنم عن وعييه بما تفوهت، ظل كحاله في غيبوبة ناظرًا في الفَراغ، ويديه كيدي إِنسان آلي يَعرف مكان فمه ويقضم لُقيمة مِن وقت لأخر.

- بيشوي؟!

صاحت ريموند بقوة فإرتعد وحاول التلفظ بشيء يَخفي القلق الذي ظهر عليه:

- نعـ .

تلعثم:

- نـ . . نعم يا ماما

قالت بغضب:

- سرحان في إيه؟

- مش سرحان في حاجة .

- طيب خلص طبق الأكل اللي قدامك

- أنا شبعان.

صَاحت ريموند مرة أخرى بغضب:

- أنا قولت خلص الأكل اللي قدامك.
حرك بيشوي رأسه ثم أقترب عادل وهمس في أذن بيشوي:
- أنا سمعت كل حاجة.
خطف بيشوي نظرة سريعة لعادل الذي أستكمل:
- دا عقابك عشان كل يوم بتخوفني أهم ظهرولك أنت مش أنـ . .
قبل أن يُكمل عادل جملته وقع بوق سيارة المدرسة على مسامعهم، هم عادل واقفًا، أخذ حَقيبته الثقيلة وقبَّل ريموند قَبل أن يَلحقه بيشوي، فتحت لهم ريموند باب المنزل وودعتهما قبل أن تَعود للطاولة لتنظفها وتذهب إلى بِتول المريضة في الغرفة، وعندما دخلت عليها كانت تَغط في النوم بِحَبات العرق المتزحلقة مِن جَبينها، جَلست على الفراش، استنشقت ريموند نفسًا عميقًا، أغلقت عينيها للحظة، انكمشت وانسابت رأسها باستسلام بعدما نُصب فخ الذكريات بجانبها، دارت في عَقلها الأسئلة التي زجت بها نفسها حيث أنها ترفض الرجال الكُثُر المُتقدمين للزواج منها ونَيل الرضا، هل أكتفت بزوجها الفقيد ؟ وهل هناك مَن يُعوض إيهاب ؟ شخص ينتشلها مِن الوحدة الموحشة التي تُعاني منها ؟ أم أنها ترفض الفكرة مِن الأساس ؟ ظلت الأسئلة تدور في عقلها كالثور الذي يدور بشكل دائري ليحرك المتراس لدهس الحبوب أو الساقية التي تروي الأراضي الزراعية.
فتحت عينيها ونظرت لجسد بِتول المسجى على الفراش في إنهاك واضح مِن الإرهاق، أعتدلت ريموند ومررت يَديها على جبينها فإستشعرت درجة حرارتها المُرتفعة، ذهبت وجلبت قطعة قطن صغيرة ومياه مُثلجة في إناء، وجعلت القطنة تغوص في المياه، غَطّت جَبِين بِتول الضئيل، وراحت تُمرر أصابعها بحنان تداعب وجهها بأناملها وهي تتأمل وجهها الجميل، فتاة

صغيرة تملكمِن العُمر سَبع سَنوات بِعيون واسعة مليئة بالحزن، أو أن عينيها ليست حزينتين لهذه الدرجة، بَلْ ريموند فقط هي من ترى الوجود حزينًا، وأنف مُنمنم، لها شفتان بارزتان ورديتان، وشعر كالحرير كان مُهمل ومُلاصق لوجهها بفعل قطرات العرق، مُنذ أيام وهي تُراقب ذلك الوجه الملائكي.

في تلك الأثناء، صوت شيء ما يَرتِطم بالأرض في أذنيها، خرجت تتفحص الصوت فَلَمْ تَجد ما أحدث الصوت، رَجعت إلى الغرفة وتَركت الباب مفتوحًا، ثم وارت الأفكار خَلف رأسها، لكنها لَمْ تَلحظ عَبر باب الغرفة تلك المرأة التي جابت الصالة وهي تَنظر لها وتَبتَسم بِعدوانية.

(١١)

أرتدى عاطف النظارة السوداء ليحجب أشعة الشمس عندما نزل مِن باب السيارة، رمى حَقيبته على كتفه ووَاصل السير حتى فِناء الكنيسة الواسع ثَاقب النظر للصليب الذي يَعتلي المَبنى الضخم، أستنشق نفسًا طاهرًا وهو يُلقي تَحية عَابرة على العساكِر الواقفة للحراسة، صَعد الدرج المكون مِنْ ثلاث درجات، ودلف بَاب الكنيسة الطويل المفتوح نِصفه والمفضي للباحة الداخلية، تَسمر واقفًا في مكانه بَعد مترًا واحدًا مِنْ الدخول، ورَسم صليبًا على جسده بواسطة أصبعه أمام القدسيين الموجودين في أخر الطرقة، والذين يَرتدون مَلابس مزخرفة، وبَين أيديهم صُلبان يلوحون بها في الهواء ويتمتمُون بصَلوات وتَسابيح وتَشَكُرَات في جَو مُقدس، وسط سُحُب مِنْ البخور المُقدمة لله صانع الخيرات، مَرر عاطف عينيه على صور مَرسومة بِحرفية في نهاية ناظريه وراء القدسيين الماكثين مكانهم والدائرة التي تعبر عَن الأبدية التي لا بداية ولا نهاية لها للسيد المسيح يتوسط التلاميذ في العشاء الأخير بِجَانب أيقونة العذراء للرسام جوفاني ساسو فيراتو وهي تشبك يديها وتَسدل على رأسها وِشَاح أسود يخفي جسدها ويُظهر وجهها، وفي الناحية الأخرى فرسَان يَمسكون حربة محددة الرأس وَدرع تَشغل رسمة الصليب المساحة الأكبر فيه، ويمتطون أحصنة تَكالبت على وجوهها الرهبة والفزع، رافعة أرجُلها، تنم ملامحهم عن صهيلهم المفزع كإنهم في ساحة حرب، أمَا السقف فكان مجوف كـكقبة مَنقوشة وبها فراغات

وثقوب صغيرة تَمر مِنْ خلالها خيوط متشعبة مِن أشعة الشمس، وتراصت الدكك الخشبية على جانبي المَمَر الذي سلكه عاطف، والمفضي للمنصة الموجود عليها القديسين، أنحرف عاطف يمينًا وجلس في الواجهة عاقدًا يديه، مرهف السمع للترانيم وآيات الكتاب المقدس.

وبعد نصف ساعة.

ومَع توقف الترانيم، نسى أمر وجوده في الكنيسة بِخلاف الصلاة وأنخرط وسط حشد الناس، تَذكر أمرًا هامًا فرجع ولمح القس آرميا يدلف قاعة صغيرة فلحق به، دخل القاعة وراء القس، كان القس آرميا على حافة الكهولة، لَمْ يجرؤ عاطف على سؤاله عَن العمر، رغم العلاقة الوطيدة مع القس بحكم المهام التي يصرفها لهُ، لكن مِن البديهي أن تَدل تَجاعيد وجهه على إنهُ في أواخر الخمسينات مِن العمر، يَمتلك وجه حازم صَلد، وحواجب كثيفة يبرز منها شعيرات متفرقة في الحد الأخير مِن الحاجب كإبر مدببة، يرتدي فوق رأسه قبعة سوداء مكملة للزي الرسمي للقساوسة، يتدلى مِن عنقه على الجلباب الواسع عقد بأخره صَليب خشبي مطرز بِخَرز يَنعكس ببريق لامع، ويَفوح منهُ عطر ذو رائحة مقدسة يُحمل في الأنوف.

- صباح الخير يا عاطف

قالها القس فردد عاطف قائلًا:

- صباح الخير يا أبونا.

- كُنت رايح على فين؟

أذدرد عاطف ريقه وتَصلب مكانه كيسوع المصلوب:

- سرحت شوية بس يا أبونا.

قال القس وهو يوليظهره لعاطف:

- إيه اللي واخد عقلك!
ردد القس مرة أخرى:
- إيه اللي حَصل يا عاطف شكلك مش مظبوط .
-خناقة مع واحد تعدى عليا بالضرب يا ابونا
-أدرتْ لهُ خدَّك الأيسر ؟
حَك عاطف رأسه وقال :
- لا يا أبونا . . أيدي طولت.
التفت القس ورَبت على كتفه وهو يقول:
- كل مَنْ يأخذ بالسيف، بالسيف يهلك .
طأطأ عاطف رأسه فإستكمل القس الحديث:
- فين اللي طالبوا منك؟
دعبس عاطف في حقيبته ثم أخرجها:
- دي الأوراق اللي طلبتها مني .
مدّ القس يَده مُدققًا النظر في ورقة تلو الأخرى، بينما استكمل عاطف مُسترسلًا:
- الورقة الأولى فيها كل حاجة عن نادر، اللي خلاني أشكك شوية موجود في الأوراق اللي عَندك، هي حكاية طويلة بس قدرت ألخصهالك في كام ورقة، وفيها كل المُلابَسات وحاجات هتفيد وتأكد كلامي
قاطعه القس:
- لسه عند تفكيرك إنه مجرد مريض؟
أومأ عاطف بعلامة الإيجاب برأسه وقال:
- أيوة يا أبونا .

رد القس بتلقائية:

- أشمعنى؟

فَكر عاطف قليلًا:

- على فترات بِتحصل الحالة وبِحس بأشياء غريبة، نادر حالة بتجيله كل فترة بتخليه يقول كدا، نادر لو كان في حاجة فعلًا في البيت مَكنتش ظهرت وأختفت على فترات قريبة كدا، المرض النفسي هو اللي بيظهر في فترات ويختفي في فترات تانية، غير إن كل مرة بروح البيت مبلاقيش أي رد فعل غريب، ودا ميخلنيش أُقتنع لكن العرض على طبيب نفسي مرة كمان هيكون أحسن .

- حاول توجهه لطبيب نفسي يتابع حالته.

أكد عاطف على كلام القس:

- حَصل.

رَبت القس على كَتف عاطف:

- يباركك السيد المسيح اللي قال - ما جئتُ لأخُدَم بل لأخدُم -.

أبتسم عاَطف قَبل أن يودع القس ويهم خارجًا مِن الكنيسة.

رَكب السيارة متجهًا لمنزله، يَسكن عاطف في منطقة تعلوها سحابة مِن الهدوء، مَر في الطريق العمومي الطويل المحاط جوانبه بأشجار باسقة، وعند وصوله إلى المنزل، كانت في استقباله زوجته مريم بإبتسامتها الموعودة وبشرتها البيضاء الناصعة النقية، لها عينان رماديتان يعلوها حاجبان قليلا الشعر، وأنف رفيعة مُسْتدَقّة الرأس.

تأمل عاطف شفتيها البارزتين وهي تودع جَبينه بقبلة حارة، انفرجت أساريره منها ثم قالت بحنان بالغ:

- الغدا جاهز يا حبيبي.
فرد مُبتسمًا:
- هغير هدومي الأول .
- ماشي.
ومِن بَعيد رَكض خليل ابنهما ناحية عاطف الذي فتح ذراعيه وعانقه، أخرج قطعة حلوى وأهداها للطفل الذي قال:
- شكرًا يا بابا .
ابتسم عاطف وذهب للغرفة، بَدل ملابسه ولحق بهم على مائدة الغداء، جَلس على الطاولة، تناول الطعام بنهم، كان يتضور جوعًا منذ أول النهارما جعله يَنقض على الطعام، أنتهى مِن الأكل ومسح شفتيه بمنديل ثم قال:
- بفكر نأخد أجازة نروح أي حتة .
هلل الطفل فرحًا فقال عاطف:
- بِشرط.
قالت مريم:
- إيه هو؟
نظر عاطف إلى خليل:
- درجات امتحان الشهور بتاعتك تكون كويسة.
خَرج صوت ضحكة مِن مريم عندما رأت شفتي خليل وهي تتلوى كالثعابين.

* * *

في المساء بَعدما عَاد الأطفال مِن المدرسة مَكثوا أمام (البلاي أستيشن) لوقت طويل، مما جعل ريموند تنهرهما بشدة:
- مش كفاية الزفت دا.

لم ينبس كُلٌ منهم ببنت شفة، أشارت إلى جهاز (البلاي أستيشن) وقالت:
- أطفوا الزفت دا ويلا العشا جاهز.
قال عادل:
- مش جعان يا ماما .
ثم تبعه بيشوي قائلًا:
- ولا أنا يا ماما
قالت ريموند بنبرة حادة:
- يا تاكلو يا تروحو تعملو الواجب بتاعكم .
نظر بيشوي لريموند وقال:
- أنا جعان يا ماما فعلا .
ثم نظر لعادل وأكمل:
- وأنت كمان يا عادل جعان صح؟
رد عادل:
- أها
قام الطفلان مغلوبان على أمرهما، يتمتمان بكلمات غير مفهومة وسط ضَحكات أنفلتت مِن ريموند نظير ما أفتعلاه، بعكس صورتها الصارمة منذ ثوان، وسحبت ساقيها إلى طاولة الطعام بجوارهما.
بعد فترة أنتهى بيشوي مِن الطعام وفرغ أيضًا عادل فقاما إلى غرفتهما ليناما.

* * *

عند الثانية بعد منتصف الليل. .

هذه المرة أستيقظ عادل على صَوت دَق صادر مِن الباب، أزاح الغطاء وهو يجاهد مِن أجل فَتح عينيه متحسسًا بيديه زر إضاءة الأباجورة الموضوعة على الكومود الملاصق للفراش، طَبق الصمت للحظات قَبل أن يَعود الدق ثانيةً فقال عادل:

- مين؟

لم يأتي رد مطلقًا، توقف الدق، وفقط الرياح تصدر صوتًا أشبه بالعويل مع أصوات حفيف أوراق الأشجار بالخارج.

لَمْ يَضف نور الأباجورة أكتمال النور في الغرفة، كانت مُعتمة في بعض الجوانب، يَسمح برؤية لكن غير مُكتملة، سَمع عادل تردد صَدى صوت ضحكة متقطعة شريرة كإنه يقبع في كهف، زادت ضربات عن الحد المعقول، ولكونه يَعشق الفيزياء تذكر أمرًا هامًا في إحدى الدروس (يَجب أن يكون هناك مسافة على الأقل تَفصل بين الموجة الصوتية المباشرة وانعكاسها على سطح الحاجز تفوق ١. ٠ ثانية أي مسافة أكبر مِن سبعة عشر متر والغرفة عُرضها لَمْيتعد ذلك).

وفي تلك الأثناء ظَهرت امرأة تَنظر بِخبث وفي يدها سِكين مضرج بالدماء، فوقع قلب عادل في أمعاءه، أختفت، فهم عادل ملاصقًا للحائط حتى نهايته ناحية الباب، ركض وفتح الباب في غمضة عين، وفر هاربًا عندما أختفت المرأة، مطلقًا ساقيه كمهر صغير يلحق بأمه، وصل إلى غرفة ريموند وظل يَطرق على الباب بتلهف وخوف وهو يرمق الرواق حتى أستيقظت ريموند وهي تُغالب النعاس.

فتحت الباب:
- إيه. . .
أكملت وهى تتثائب:
- في إيه؟
حاول عادل أن يذدرد ريقه:
- بيشوي يا ماما بيشوي.
قاطعت كلامه وهي تبدي اكتراث أكبر مِن ذي قَبل متخطية باب غرفتها:
- ماله؟
توقف عن الكلام لوهلة، أخذ يلتقط أنفاسه بصعوبة فعادت ريموند تقول بجدية:
-. ماله بيشوي؟
- في الاوضة مع واحدة ماسكة سكينة !
أمتقع وجهه ريموند وأفاقت مِن بواقي نومها، هَرعت تجاه الغرفة متناسية أمر عادل الذي تَم حبسه في غرفتها، ظل يَصرخ ويطرق على الباب لكن لهفة ريموند على بيشوي جعلتها لا تستمع للطرق.
وعندما وصلت لغرفة الأطفال، تَقدمت بخطى مترددة ناحية الباب، سَحبت الباب ببطء رَهيب متحسسة مَدى قذارة ما فعلته تحت ملابسها الداخلية، كما لو أنها طفلة حديثة العهد في الثانية مِن عمرها، وعندما فتحت الغرفة لَمْ ترَ شيء، كُلّ شيء في مكانه عدا بيشوي لَمْ يَكُن موجودًا فهمست وهي تنظر إلي أركان الغرفة:
- بيشوي!
خرجت بعد ذلك خارج الغرفة وهي تَستطلع المكان يمينًا ويسارًا قَبل أن

تنتبه أن عادل أختفى هو الأخر، ظهر وراء ظهرها نساء تجرين في لمح مِن البصر، فأحست بلفح هواء خلف ظهرها جعلها تستدير لكنها لَمْ ترَ شيء، ركضت نحو باب غرفتها الموجود بهِ عادل، أدارت مزلاجه مرات عدة فلَمْ تَفلح محاولاتها.

تَضع رأسها بين أصابعها كمتحسرة تارة، تطرق الباب بأصابعها تارة أخرى، ومِن حين لأخر تتلفت على صوت غريب وصور معلقة تتساقط عن الحوائط، كادت حدقتي عينيها تنقلعان مِن محجريهما مِن شدة الذهول، سمعت صراخ بيشوي ذهبت مسرعة وراء مصدر الصوت، تسمرت عندما شاهدت بيشوي يقف أمام باب الغرفة متسع الأحداق اقتربت ببطء فظهرت الغرفة ملطخة بالدماء، وقطع مِن القماس تشبه الأكفان تترامى على أرضية الغرفة، بعد ذلك شب حريق أسرعت ريموند بطفلها قبل أن تبتلع ألسنة النيران باقي الغرفة، تذكرت أمر عادل، أخذت بيشوي في يديها فرأت باب الغرفة موارب، تخطت الباب، فوجدت عادل مسجي على الأرض، وبتول على السرير مكانها، ضربت على وجه عادل مرات فأفاق غير مدرك ما الذي حدث!

في تلك الليلة لَمْ تَقدر ريموند على التماسك أمام ما مرت بهِ، أغلقت باب الغرفة بالترباس ووَقعت على السرير في الحال .

في الصباح.

التوأمان يلهوان في فناء المنزل، انتبه كلاهما لقطتهم الصغيرة على الجانب الآخر مِن الطريق السريع فإتبعاها، في تلك اللحظة كانت ريموند تَفتح الباب لتتفقد حال الطفلين، فوقع في عينيها شكلهما كأنهما مُنومان مغنطيسيًا وهما يتبعان القطة عابرين الطريق السريع، صَاحت ريموند فيهما عندما

لَمحت شاحنة ضَخمة تَحمل أطنان مِن الرمال الصفراء، عَلت أصوات تحذيرات الشاحنة مع صوت المكابح التي تحاول إبطاء السيارة، لكن الآوان قد فات وصدمت الطفلين.

كان كابوسًا قد استيقظت ريموند منه بِفَزع وصراخ:

- بيشوي، عادل.

تَقوس ظهر ريموند كـقوس رامي السهام وراحت تمرر يديها على الطفلين السابحين في أحلامهما بجانبها على الفراش، أنفاسها مضطربة وأعصابها قد انفلتت، وبَعد فترة هَدأت مِن روعها وقامت بتلاوة بعض المزامير التي تحفظها عَن ظهر قلب عندما علمت إنها كانت تَحلم بكابوس.

وعندما استردت وعيها تذكرت كل شيء حدث.

أرتجفت أوصالها عندما تذكرت الغرفة ليلة البارحة، نزلت مِن الفراش بحذر، فتحت الباب ورمت نظرها على الصور التي وقعت ليلة أمس لكنها وجدتها معلقة مكانها على الحائط، تخطت الممر حتي الغرفة، فتحت بابها ببطء وحَركت رأسها مستكشفة الغرفة التي تبدلت حالها منذ ساعات، لكنها وجدت الغرفة كما هي، الآسرة في أماكنها والغرفة نظيفة جدًا، لا دماء !

لا بقع سوداء نتيجة الحريق الذي نَشب، ولا قطع قماش مضرجة بالدماء.

عادت نحو غرفتها وظلت بجانب الأطفال والتفكير يأخذ حيزًا كبيرًا في عقلها فماذا سوف تَفعل، بعد هنيهة عَزمت على الذهاب إلى القس آرميا صديق زوجها المقرب لتقص عليه ما حدث وتستشيره في الرأي،

ارتدت قطع مِن الملابس بسرعة وإهمال وهمت إلى كنيسة (القديس بولوس الرسول) .

(١٢)

كنيسة القديس بولوس الرسول.

وصلت ريموند للكنيسة ومعها الطفلان وبنتها بتول الصغيرة، دلفت باب الكنيسة بوجه هائم، سارت في الطرقة المترامي على جانبيها دِكَك جلوس المريدين، أنعطفت يمينًا وهي تُمني نفسها أن تَجد القس آرميا، لكونها لَنْ تَقدر على إحتمال ساعة أخرى في المنزل، بعدما تأكدت بأم عينها مما كان يشكو الطفلان، دَخلت الغرفة المُقابلة عِند الإنحراف كانت غرفة مضاءة بالشموع الباسقة المطعونة في رمال توجد بِصَحن كبير، ويوجد رُفات قدسيين موضوعة في صناديق مَصنوعة مِن خشب وأبوابها مِن الزجاج ولها فَتحة كـفتحة الحصالة تُوضع بها أوراق التمني والتقرب والدعاء، وجدت القس آرميا جالس في خشوع فَلَمْ تَقطع السكون المحيط ،وقفت دون أن تَفتح فمها حتى قام القس.

انحنت ثم وضعت قبلة على يده و قالت بعدما أعتدلت:

- ازيك يا أبونا .

رد القس هامسًا:

- بخير يا بنتي، أخبار الأطفال إيه؟

ربتت ريموند على كتفيهما وهي تقول:

- نحمد ربنا أنهم لسه بخير يا أبونا.

تقلص وجه القس وأعاد نفس الجملة بإندهاش:
- لسه بخير !
ردت عليه وهى تخفض صوتها:
- للأسف يا أبونا .
- أحكِ . .
- بيحصل حاجات مش طبيعية في البيت يا أبونا ودا السبب اللي خلاني أجي أشوفك وأقولك على كل اللي بيحصل، بقالنا يومين يا أبونـ .
انقطعت عن الكلام، انهال عرق غزير على جبينها كأمطار انسابت على يديها تَسلك وادي جاف، تقول في قرارة تفكيرها إن القس مَنْ الممكن أنْ يتهمها بالجنون، لَنْ يصدق ما سوف تقول، صَوبت نظراتها العابسة للقس وهو يبارك الأطفال ويَرسم علامات الصليب على أجسادهم، فرَنا إليها بِطَرف عينه عندما أستشعر سكونها وقال:
- كملي يا ريموند . .
- الموضوع ميتصدقش يا أبونا.
- أحنا في القرن الـ ٢٠ يا ريموند، كُلّ حاجة بتتصدق في العصر دا .
أنقطع عن الكلام ثم أردف القس بصوت خفيض:
- أحكي، كملي .
مَسحت قطرات العرق بمنديل أبيض صغير وقالت:
- حاجات عجيبة وغريبة بتحصل بقالها فترة يا أبونا مش لاقية ليها تفسير لغاية دلوقتي، ومنغصة علينا حياتنا أنا والأولاد، مش عارفين ننام مِن غير فزع ولا خوف، ولا عارفين ناكل، ولا عارفة أروح الشغل وأسيب الأطفال لوحدهم.

سكتت لثانية ثم أنفجرت عندما فقدت أعصابها:
- حاجات أغرب مِن الخيال
قاطعها القس وهو يرمقها بطرف عينه:
- هيكون في عفاريت مثلًا .
- أه يا أبونا.
سكتت لبرهة، حاولت أن تتدارك الأمر بعجالة فقالت:
- حاجة زي كدا . . أنـ . . .
تلعثمت:
- أنا في البداية ماكنتش مصدقة قصص عادل وبيشوي اللي كانوا بيحكوهالي لكني شوفت، شوفت بعيني.
لاحظ القس أن وجهها أصبح جامدًا فـقـال:
- وإيه اللي حَصل خلاكي تقولي كدا؟
بَدت ريموند مترددة:
- حاجات كتير يا أبونا .
- زي إيه؟
- ليا عندك رجاء بس يا أبونا .
عَقد القس حاجبيه بإستغراب:
- اتفضلي يا بنتي .
رطبت ريموند شفتيها عَن طريق لعاب لسانها وأردفت:
- تحاول تصدق اللي هقولك عليه .
هز القس رأسه بعلامة الإيجاب ثم طلب منها الجلوس:
- هصدق، لازم أصدق .

بدأت ريموند في سرد ما حَدث لها طيلة الأيام الماضية، والقس مستمع بتركيز لما تَقول خلاف أن عينيه تلاحظ حركات يديها غيرالمستقرة، كان يَعلم بجواز حقيقة ما تقول، لكن يَجب حِمل جزء مِن الشك، لا يسلم بما تقول لمجرد أنها قالت، مَرت عليه طوال تلك السنوات البائدة أعجب مِن حكايات ريموند، والكثير الكثير منها ما كان يعد حقيقيًا وتعامل معه، والكثير مِن القصص الأخرى كان مِن مَحض الخيال والأوهام، الكثير مِن راويين تلك القصص مرضى نفسيين، منهم المريض بالفصام والهلوسة وأمراض نفسية لا حصر لها، تجعلهم يرون أشياء لَمْ تَحدث ويتوهمون أحداث أخرى، ويؤلفون القصص حَسب حالتهم المزاجية والنفسية، لذلك لَمْ يكن يُسلم تمام التسليم لأحد، رغم علمه أن الجان والعالم الأخر مذكوران في الكتاب المقدس، والقصص التي رواها السيد المسيح والرُسول وجميع الأديان السماوية وغيرالسماوية، هذا شيء لا خلاف عليه، لكن القس يَشغل مساحة مِن عقله للتفكير أولًا مِن الناحية النفسية البحتة، ويعلق ما تروية حتى يَتم عَمَل الفحوصات الطبية النفسية اللازمة وبعد ذلك يكون القرار.

وبعد إنتهاء ريموند مِن سرد الأحداث لَجم لسانها فقال القس:

- ريموند يا بنتي أرجوكي خدي الكلام اللي هقوله بشكل علمي الأول، وبعد كدا نقرر ونشوف هنعمل إيه.

خيمت على وجهها الحيرة

مزق القس ورقة ودوّن عليها كلام:

- دا عنوان عيادة طبيب نفسي صديقي أما توصلي قولي لهُ أنك تبعي وتعرضي الأطفال عليه و. . . . .

أنفلتت أعصاب ريموند وقاطعت القس:

- تقصد إني مريضة.
تظاهر القس بتلاوة شيء ما ممتصًا إنفعالها، ثم قطع التلاوة ووجه الحديث لها:
- مش القصد يا بنتي، دي مجرد أجراءات روتينية مش أكتر عشان الكنيسة تقدر تساعدك.
- دا اللي كنت خايفة منه.
- يا بنتي الحكاية أننا لازم ناخد شوية إجراءات . .
- مش مصدقني يا أبونا صح؟
- لا طبعًا مصدق،زي ما قولتلك بس مجرد إجراءات روتينية عشان الكنيسة تقدر تساعدك.
أومأت ريموند برأسها مُتفهمة:
- حاضر .
- لازم تروحي وتعرفيني
أجابت بهز رأسها وأضافت:
- شكرًا.
- العفو يا بنتي.

* * *

قَبل أن يَطغى في السماء الظلام ويقبل الليل، كانت ريموند في طريقها للمنزل وسط ضجيج محركات السيارات وأصوات أبواقها المزعج، تُمني نفسها أن يَكون اليوم خاليًا على غِرار الأيام البائدة، تَحلم بيوم تَعيش فيه بدون كوابيس حقيقة، أن يَمر يومها مرور السحاب مِن السماء بدون عواصف رعدية أو أمطار غزيرة.

عندما وصلت مدت يدها إلى الحقيبة، أخرجت مفتاح أولجته في الباب، أنتصبت للحظات تَمسح المنزل بعينيها، تستعرض ما حدث ليلة أمس، أغلقت الباب وراحت تتحرك بخطوات حذرة، والأطفال متشبثون بها:

- النهارده هننام كلنا في الأوضة بتاعتي.

قالت ريموند فأومأ الأطفال بالإيجاب وهم ينظرون لبعضهم، دلف جميعهم الغرفة، وبَعد ساعة قد كان الأطفال يَسبحون في أحلامهم، بعدما أعدت لهم ريموند العشاء ، أما ريموند فظلت تُحدق في سقف الغرفة والنوم يَطير مِن عينيها المحمرة بِفَعل السهر، كانت الساعة تشير عقاربها للحادية عشر مساءً عندما أرهفت السمع لصوت لحن يَعبر عبر الباب إلى مسامعها مِن الصالة، وثبت على أطراف أصابعها ونزلت مِن الفراش، اقتربت ببطء ناحية الباب، أنحنت ودققت النظر مِن عَين الباب السحرية تستطلع ما يحدث في الصالة بقلب زاددت ضرباته عن الحد المعقول، جالت عينها في الصالة فَلَم ترَ شيئًا غريبًا، فقط تسمع صوت لحن الموسيقى يشق أذنيها. انتصبت مرة أخرى واقفة، وحينها تذكرت أمرًا قد حدث قبل وقوع الأحداث المُريبة.

* * *

عَادت ريموند مِن الفُلك الذي كانت تَسبح فيه، استردت وعيها للعالم الحقيقي، تَسربت ذكرياتها مِن ذهنها عندما شَق لحن الموسيقى أذنها ودار قرص الفونغراف المُذهب المغطى بالأتربة دون أن يَقترب منهُ أحد، مَع صوت أحتكاك بَسيط في القرص الدوار، أنسابت أنغام الموسيقى في الأرجاء، كانت نَفس الموسيقى التي كانت تَسمعها مع إيهاب قَبل أن يتوفي، كان يُفضل ذلك اللحن ويحب ترديد كلمات الأغنية، وخاصة الجزء المعين الذي لطالما كان يقف عند كلماته ويقوم بتلاوته بشفتيه على ريموند، استرابت

ريموند في بادئ الأمر، وقفت مشدوهة ثوانٍ مَعدودة عاقدة حاجبيها بإستغراب، فونغراف عَتيق لَمْ يُستعمل مُنذ زمن ومكسو بالأتربة يَعمل مِن تلقاء نفسه !، مَنْ وَضع القرص في الآلة ؟ ومَنْ جعلها تعمل ؟ غير أن الأغنية لَمْ تبدأ مِن البداية بَلْ مِن الجزء الذي كان يتغنى به إيهاب !، لكنها طردت تِلك التساؤلات عَن ذهنها، وكما هاجمت الهواجس عقلها، نَفضت أتربة الذكريات وأرهفت السمع لأنسيابية اللحن وكلمات الأغنية، وهي تتفاعل برأسها متمتمة الكلمات بشفتيها القرمزيتين.
وكما صدحت الموسيقى بمفردها أختفت فجأة.

* * *

يبدو أن الموسيقى هي سر التحذير.
قالتها ريموند في غياهب سرها، وكما بدأ الصوت يَصدح توقف الفونغراف عن العمل، فإنحنت مرة أخرى لتدقق النظر، وراح بؤبؤ عينها يدور في الصالة ذهابًا وإيابًا ناحية اليمين واليسار، حتى ظهر فجأة قطة ورجُل بنفس مواصفات الرجل الذي وصفه لها بيشوي يَعبر الصالة حتى أختفى بعدما تخطى حاجز الرؤية في العين السحرية، أرتدت ريموند للخلف بسرعة بأنفاس متلاحقة وتذكرت ما قاله بيشوي.

* * *

- ظهر في الركن دا يا ماما.
- مين اللي ظهر يا حبيبي!
- في الركن دا، راجل شكله مُخيف ومعاه قطة سودا.
قاطعته ريموند:

- رَاح فين؟
- هرب.
- هرب! هرب راح فين؟
- معرفش انا نزلت تحت البطانية ومشوفتش حاجة بعد كدا.
ابتسمت الأم بسخرية ثم قالت:
- مَتخفش يا بيشوي دا مُجرد كابوس، تلاقيك كنت بتحلم.
- لا يا ماما مكنتش بحلم، أنا شوفته.

* * *

جَسدها يَرتعد مِن شدة الخوف، وعيناها تزداد اتساعًا، تحاول استيعاب ما يَحدث، نَظرات جامدة تَشي بالجنون، مرة أخرى دققت النظر في العين فَلَمْ ترَ شيء مُطلقًا، غير أن صورة امرأة بَشعة بفك كبير تظهر أسنانها الغريبة وعين مفنجلة يبضاء خالية مِن البيابي.
ظهرت صورتها في العين السحرية وهي تصرخ بشدة فاتحة فكيها كفوهة بركان ثائر، تضخمت أنفها مِن تأثير تعابير وجهها المتجعد، إنهار تماسك ريموند، وبادلتها صَرخة أيقظت الأطفال، تعثرت في السجادة إثر ارتدادها للخلف فوقعت على الأرض، ظلت تتنفس بصعوبة حتى كاد يَنقلع قلبها مِن جَسدها مُمزقًا قفصها الصدري، ماكثة على الأرض ونوبات هَلع تظهر في عينها الواسعة، أستندت بآخر ما أُتيت مِن قوة على الأرض تحت عيون الأطفال المليئة بالدموع، أغلقت ترباس الباب العلوي، ثم عادت إلى الفراش بجانب الأطفال، سَحبت نفسًا طويلًا، لفت الغطاء على جسدها إلا رأسها ظلت خارج الغطاء، ثاقبة النظر في الباب بعين مذهولة خائفة.
ومِن وقتها لَمْ تذق ريموند طعم النوم، مِنذ ليلة أمس بَلْ مِن عدة أيام

فائتة، وجهها أصبح شاحبًا وجسدها هزيل، وعينها تزداد أحمرارًا يومًا بعد يوم، والهالات السوداء تكسو أسفل جفنيها، وعينها في وضع التراخي والنعاس، أصبحت تتثاءب بحق كل نفس تذرفه.

قابعة مُنذ الأمس مكانها.

الساعة العاشرة صباحًا.

خلاف ما سمعت في الاثنتي عشرة ساعة مِن أصوات الموسيقى، كانت هناك أشياء تَسقط ودق صادر جعلها في حالة يرثى لها، تَحمد الرب إنها لَمْ يصيبها مكروهحتى شروق الشمس، هدأت ريموند هدوء ما بعد العاصفة، منذ ساعات الصباح الأولى وهي تَعقد العزم على عدم سَماع كلام القس بالذهاب إلى الطبيب النفسي، حتى لا تُثير في نفسها الشكوك وترمي نفسها إلى الهاوية، لكنها لَنْ تَحتمل العواقب الغاشمة والأشياء الغريبة ثانيةً، لعلها تؤمن بداخلها أن كل ما يحدث حقيقيًا، وليست مِن مَحض خيالها لكن وبعد تفكير مُكثف عقدت العزم على الذهاب ليس لشكوك حول ما يحدث، ولكن لتنهي تلك الإجراءات السخيفة وتجعل القس يساعدها.

أزاحت ريموند الغطاء عن جسدها وصاحت في الأطفال وهي تقظهم:

- بيشوي، عادل أصحوا، بِتول أصحي يا حبيبتي.

ظل الطفلان ينقلبان في الفراش:

- بيشوي، عادل، قولت يلا اصحوا.

تمتم بيشوي بصوت ناعس:

- حاضر يا ماما .

تأفف عادل وهو يقول:

- إيه يا ماما .

ردت ريموند بزجر:
- قولت يلا أصحوا ألبسوا هدومكوا .

ارتدت ريموند والأطفال ملابسهم، ثم انطلقوا خارج البيت تحت وهج الشمس، أوقفت ريموند سيارة أجرة وأملت على السائق العنوان، نصف ساعة كانت كفيلة بجعل الطفلين يتمتمان بعبارات مِن حين لآخر أمثال:
- ماما إحنا رايحين فين؟ ماما إحنا زهقنا .
وحينما وقفت السيارة، أشار السائق أن تلك العمارة هي المدونة في العنوان، نَزلت مِن السيارة بعدما حاسبت السائق، ووقفت تَجول ببصرها على العمارة، كانت عمارة قديمة لا يقطنها إلا أطباء تقريبًا، كان ذلك واضح مِن كثرة اللوحات الإعلانية الموجودة على أدوار العمارة، طبيب باطنة، نساء وتوليد، عظام، ومخ وأعصاب.. إلخ، حتى توقفت عيناها عن التجوال عندما أنصبت على لوحة للطبيب النفسي الوحيد بين تلك اللوحات الإعلانية.
كانت اللوح معلقة على شرفة الدور الرابع، صَعدت الدرج مع الأطفال حتى وصلت للدور، تفحصت أسم الطبيب في الورقة واسم الطبيب المحفور بارزًا على باب مفتوح دلفت منهُ وقفت بملامح مشدوهة تتطلع البشر الجالسين مُنتظرين أدوارهم، وفي الأمام شخص يَجلس على مَكتب يتابع التلفاز، مِن وقت لآخر يخرج مريض فيصب اهتمامه على المجلد الموضوع أمامه وينادي بالدور على اسم المريض التالي، فكرت ريموند إنها سوف تنتظر ذلك الطابور، تحركت مِن مكانها وعجلت خطواتها إلى السكرتير وقالت بإبتسامة:
- صباح الخير.

أنتبه السكرتير:
- صباح النور يا فندم
- حضرتك كنت عايزة أقابل دكتور زهدي إسماعيل.
- اسم حضرتك إيه؟
- ريموند.
- بالكامل لو سمحتي .
- ريموند صالح عماد.
فتح السكرتير المُجلد على حجز اليوم وراح يمررعينيه على الأسماء، ماسحًا الأسماء اسمًا تلو الأخر، فَلَمْ يَجد اسمها مدونًا ضِمن بقية الأسماء، نظر بطرف عينه لها وأعاد مرة أخرى البحث قَبل أن تقاطع ريموند تفحصه للمجلد:
- مش هتلاقي اسمي موجود.
نظر إليها مستغربًا فقالت:
- أنا مش حاجزة معاد قبل كدا.
- بس أسف جدًا الدكتور منبه محدش يخش إلا بالدور .
- أرجوك لازم أقابله ضروري .
- صدقيني مينفعش.
- قوله إني تبع القس آرميا.
نظر لها مليًا ثم أردف:
- بس برضوا حضرتك هتضطري تستني لغاية ما الناس تخلص أدوارها لان مفيش فاصل بين حالة والتانية .
لمعت في رأسها فكرة، تفقدت الحقيبة وأخرجت الأموال التي تحرك الحديد،

أخرجت ورقة فئة مائة جنيهًا وكومتها في يد السكرتير وقالت:
- أرجوك محتاجة أقابله ضروري.
تَسمر جسده كعمود في الأرض، ثابت للحظات، يداعب فكيه مِن الداخل بواسطة لسانه، وبعد ثوانٍ أخذ المال وقال وهو يَضع المال في جيب قميصه الكروهات:
- طب أستني المريض أما يخرج
قالها فوافقت بملامحها الشاحبة، ثم جلست برفقة الأطفال على المقاعد البلاستيكية حتى معاد دورها المزور، مَرت دقائق حتى التفتت ريموند على صوت باب غرفة الطبيب يفتح ويخرج أحد المرضى فالتفتت للسكرتير، الذي تظاهر بقراءة الاسم التالي مِن المجلد، ثم رفع رأسه وقال بصوت عالٍ:
- ريموند صالح عماد.
أمسكت ريموند أيدي الأطفال وسارت وهي تومئ برأسها بما ينم عن الشكر والعرفان للسكرتير، دلفت باب غرفة الطبيب بصُحبة الأطفال، حاولت رسم أبتسامة على وجنتيها:
- أتفضلي.
قالها الطبيب وهو يَعتدل في جلسته، كانت الإنارة خافتة قليلًا والطقس العام للغرفة هادئ تمامًا، مَكتب فخم يَجلس عليه دكتور زهدي بِقميص أبيض كان يرتدي فوقه جاكت بدلة معلقة على حامل في ركن مِن الغرفة، أما وضع الجلوس الخاص يُظهر تكاثف طبقات الشحوم فوق بعضها عند منطقة البطن، شاربه طويل خشن يتهدل على شفته العليا، وعينان سوداوان يعلوهما حاجبان كثَّان، أقتربت ريموند مِن الكرسي ثم وقفت وهي تحاول ألا تظهر ملامح غريبة أو أي فعل مفاجئ ولو غير مقصود أمام الطبيب،

جلست على الكرسي والطفلان واقفان بجانبها، دارت في عقلها العديد مِن التصورات في كيفية التعامل بثبات حتى قطع الطبيب ما يدور برأسها وهو يدفن فكيه بين يديه:

- أقدر أساعدك أزاي؟ أتفضلي أحكي

بلعت ريموند ريقها مُحاولة التماسك وقالت بثقة زائفة:

- الحقيقة أنا كُنت جيالك مِن طرف حَد قالي إني لازم أجيلك .

قاطعها وهو يفك عقدة فكيها من بين يديه، بملامح تُحاول الإستذكار:

- مين؟

- كُنت جيالك مِن طرف أبونا آرميا

- أها .

قالها زهدي وقلّب الورق الموضوع أمامه حتى توقف عند ورقة انتشلها مِن مُنتصف الورق، وضع جزء مِن النظارة المزدوجة التي بها ميزة انفصال العدستين عن بعضهما على عينه اليسرى، وتَفحص محتوى الورقة بدقة ثم قال:

- ريموند صالح عماد.

أومأت ريموند برأسها وابتسمت ابتسامة خفيفة ثم استكمل الطبيب:

- أبونا موصيني عليكي، الأول بس قَبل أيّ حاجة تشربي إيه؟

- لا شكرًا مش هقدر.

- لا لاز. . .

قاطعته:

- مش هقدر أشرب حاجة خالص صدقني، معلش خليها المرة الجاية وتكون مناسبة احسن مِن كدا.

- مينفعش صدقيني.
- معلش.
تفهم الطبيب بهز رأسه مُطاوعًا وقال:
- أحكي يا مدام ريموند كُل حاجة، أكني خيال قدامك وأنتي بتكلمي نفسك في المراية .
سكتت لبرهة فعاود الطبيب قائلًا وهو يرمي ظهره للخلف:
- كُلي آذان صاغية .
- أحكي عن إيه بظبط . .
- علي اللي بيحصل في البيت، معاكي، ومع الأولاد، ومِن أمتى الكلام دا حصل؟
- وهتصدق؟
ظلت عيناه شاخصتين عليها، وهو يضع الأوراق ببطء على المكتب ثم قرب رأسه وهمس بصوت خافت:
- دا واجبي .
أستنشقت ريموند نفسًا طال غيابه، نفسًا أعاد لها رئتيها الباردة، وفتح بابًا لفيها كي تبوح بكل ما في جعبتها، وباب آخر في مخيلتها، باب موارب صدئ ينبُع منه ضوء شيطاني، رَاحت تقص على الطبيب كل شيء، ترتبك تارة، وتحاول التماسك تارة أخرى، تتنهد، تنفث دخان سجائرها والتفكير يَعتصر خيوط عقلها، أصبحت الغرفة تَشع منها هالات غريبة وصداع أغتصب رأسها على فراش بوحها للطبيب، تتأثر، تتناثر منها قطرات عرق أمتزجت ببعض الخُصل المتهدلة على جبينها. كتلفاز قديم أبيض وأسود ١٢ بوصة مشوش تمامًا يجاهد مِن أجل بقاء البثّ كانت نظراتها لمن حولها كذلك.

وفي النهاية، كمغتصبة أخذ منها الفاعل ما أراد وتركها ذابلة تتقيأ ما بأمعائها مستندة على درابزين سلالم عمارة مهجورة ثم مضى، هكذا الطبيب الذي ظل قرابة الثلث الساعة يَستجوب، ثم تركها عارية التفكير تُلَمْلَم أطفالها وتذهب كراعي الغنم.

(١٣)

نَزلت ريموند مِن العمارة، أوقفت سيارة أجرة أخذتها للمنزل، وقفت أمام المنزل تَنظر بِخَوف وقلبها يَدق كالناقوس، عقلها قنبلة موقوتة يَكاد ينفجر مِن شدة التفكير، نَفثت سيجارة أمام الأولاد على غير عادتها، أصبحت يوميًا تَستنشق سجائر عديدة، شرهة بِشَكل غير معتاد، منذ وقوع الحادثة لإيهاب شَرعت في تدخين السجائر لكن ليس بذلك الشكل المبالغ، سيجارة واحدة كل عدة أيام تَكفي لتُخرج خَلف سحاب دخانها الهموم، أما الآن لعب النيكوتين دورًا بارزًا في يومها ،لتُخفف عَن عقلها حدة الإضطراب.

وصلت المنزل، أولجت المفتاح ودلفت الباب، في وَضع الأستعداد لحدوث أي شيء، تَشعر بخوف هيء لها أنها تَسمع أصوات غريبة لكنها لَمْ ترَ شيء، دخلت غرفتها بخطوات مترددة وهي تلتف برأسها في جميع جوانب المنزل، لعلها تستكشف غريب، جَسدها يرتجف بشدة وتتخلل أوصالها قشعريرة، عندما دخلت غرفتها سمعت صوت تَكسير العشب الذابل وحَفيف ساق أحد يَمشي على العشب، أزاحت سِتار الشرفة ، أرتعدت مذهولة عندما رأت رجُل غريب، قالت ذلك في البداية قبل أن تتدارك إنه هو نفس الرجل الذي ظهر لبيشوي في الغرفة ولها في الصالة، نفس الذقن والملابس والعفن البادي عليه، ولكن هذه المرة يَحمل فوق كتفيه جثة ويتجه بها ناحية الباب.

* * *

وبعد إنقضاء اليوم، وعندما تجلى الشفق في السماء وكسيت باللون البرتقالي الداكن، وأشعتها الصادرة مِن بَعيد، وقَبل أنْ يَرجّع إلى المنزل تَكون في بؤبؤ عينه مؤخرة طرية وأرداف مُمتلئة بالشحوم عانت مِن أجْل أنْ تكون بتلك الهيئة المثالية، تَجمدت نظراته للحظات ثم اقترب ببطئ على أطراف أصابعه، كأسد يقع بفريسته في الأسر منقضًا عليها، لاصق نفسه بمؤخرتها كما يَفعل الذين يستقلون سيارة أجرة مزدحمة، صَرعت المرأة وأطلقت صرخة وهي تَلطمه على خده، كسا الغضب عينيه وهجم عليها عاقدًا قطعة قماش حول يده ستقوم بباقي المهمة.

وفجأة هجم، كمم فمها وأنفها، صراخ مكتوم يَنحدر مِن حَنجرتها.

تحاول التَملص بشتى الطرق، وقعت على الأرض فجثا فوقها.

عينان جاحظتان تنطبقان ببطء وتعتم كل شيء مِن حولها.

وقف داوود بعدما تأكد مِن أقتلاع روحها، تَعود على ذلك المنظر، فَلَمْ تَكُن ضحيته الأولي، قد سبقتها نوال لكن الدافع هذه المرة ليس كدافع قتل نوال، كان على أهبة الأستعداد على أحتمال جَر هذه الأرطال مِن الشحوم بعدما لفظت أنفاسها الأخيرة، ضَرب عقله الجنون، لَمْ تَكُن النية مبيتة للقتل، فقط امرأة عابرة، لكن الأمر فاق كل التوقعات، وبالفعل عندما سَمع أصوات الصراصير المزعجة متخللة سكون الحقول الزراعية الشاسعة تحت بزُغ القمر في السماء الكاحلة، وَجد نفسه يسحب الجثة بِحَذر بحيث لا يراه أحد تحت قمر شاهد وظلام حالك، وأخذ يُفكر في دفنها بعدما ينتهي مما راح يُفكر فيه، أخذ يُفكر على هذا النحو حتى وصل إلى حديقة المنزل.

* * *

ذهلت ريموند عندما رأت عبرالشرفة الرجُل يتوقف متسمرًا وعلى كتفه الجثة لدقيقة مِن الزمن.

* * *

ارتعد عندما سمع صدى صوت أجش يُحمل بـواسطة الهواء عن طريق مكبر صوت إحدى الجـوامع القريبة قـائلًا:

- يا سُكان المنطقة.

تَسمر داوود في مكانه وتَداعت في عقله الأفكار، فظن أنْأمره قدْ انكشف، وذلك الصوت الآن سوف يدّل على مكانه ويذيع أمره بين الناس، تَخيل موقفه عندما يأتي الناس إلى منزله، وتصور أيضًا مَدى ما سوف يفعله أهالي تِلك الجثة، اعتقد إنهم سَيحملونه على (عربة كارو) مُجردًا مِنملابسه تمامًا، ويقومون بِزَفه زَفة بلدي كما يَفعلون مع المومس أو أنهم سوف يَضعون حَديدة محدبة الرأس كالحربة في مؤخرته (يخزوقونه)، كما تم مع سليمان الحلبي الذي اغتال قائد الحملة الفرنسية في مصر (كليبر)، وتم الحكم عليه بحرق يده اليمنى ثم (يتخزوق) حتى تأكل رمته الطير كما كان شائعًا آنذاك في تَنفيذ أحكام الإعدام، ارتعد داوود عندما وجد التشابه الكبير الذي درسه في الجامعة وتحديدًا هذه القصة - بحيث أن سليمان نُفذ عليه الحكم في نفس المنطقة (مصر القديمة) بـ (تل العقارب)، لكن الأفظع عندما تَخيل إنهم يقطعون عضوه التناسلي ليكون عبرة للغير، وبَعد وهلة مِن التداعيات والتخيلات التي ملأت ذهنه أنصت بإهتمام للصوت عندما ارتفع مرة أخرى قائلًا:

- يا سكان المنطقة، سوف يرفع أذان العشاء بَعد خمس دقائق مِن الآن، وعقب الصلاة سَنكون في صحبة مباركة إن شاء الله مع العلامة الشيخ الجليل عبد الوهاب سعيد، القارئ والعالم بأمور الدين وأحد علماء الأزهر الشريف الأجلاء، ليكون مِنبر لنا اليوم ليفيض بنوره وعلمه على الناس أجمعين، حيث قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: -يرفعِ الله الَّذين آمنوا منكم والَّذين أوتوا العِلمَ درجاتٍ-.
انقطع صوت الملقي بَعد تشوشات في مكبر الصوت، وانتعش جَسد داوود بواسطة نَسيم قَدْ جفف عرقه اللزج وهدأ مِن روعه.

* * *

وبعد انقضاء المدة التي تَسمر فيها ذلك الرجل شاهدت ريموند الرجل وهو يتجه ناحية باب منزلها ويدلفه.

* * *

مضى بإتجاه الباب وزج بالجثة بداخل المنزل، ثم دلف الباب ورطم درفتيه وراء ظهره على غير عادة، سَحب الخشبة العريضة التي تَحل مَحل مزلاج الباب وأولجها جيدًا حتى شعر بارتياح غزا جسده المنهمك، وأشعل فَتِيل القنديل ووجه ضوء لهب النيران ناحية الغرفة، وباليد الأخرى أخذ في جر الجثة وألقاها على السرير، وضع القنديل الذي طَبع لهب نيرانه ظِل مخيف ومُضاعف بكثير لهيئة جَسد داوود على الحائط المقابل وهو يَفك أزرار سرواله .

* * *

صُعقت ريموند، وقد ضَرب الجنون عقلها، أتجهت بِسرعة ناحية عين الغرفة السحرية لترى الرجل وعلى كتفه الجثة في الصالة بعدما دلف الباب، شاهدته وهو يعبر ثم أختفى بعدما تخطى حَاجز الرؤية في العين السحرية، أحست بغصة في حلقها ولَمْ تَقدر على اذدراد ريقها، أخذت الأطفال بَين ذراعيها وجَلست على الفراش لنصف ساعة، في هذه المرة سَمعت صوت الباب يغلق، تَركت الأطفال على الفراش وراحت تراقب مِن الشرفة، ازداد اتساع حدقتي ريموند. أغلقت نور الغرفة سريعًا وعادت تحدق فيما يحدث بعين لامعة وسط الظلام الدامس .

أمسك الرجل فأس بعدما خرج بالجثة خارج المنزل وألقاها على الأرض، بدأ في حفر مقبرة في الحديقة ليواري جريمته الشنعاء، أما ريموند فتحاول التماسك حتى لا يغشى عليها في الحال، يَتَسارع قلبها مع أنفاسها في مَن منهم الأسرع ؟ ويَكتنف الصُداع رأسها، أخذ الرجل يَحفر مقبرة تُناسب حجم الجسد، كان جسدًا لامرأة بدينة بعض الشيء ومجردة مِن ملابسها، تكاد تكون عارية، جَلبت ريموند الهاتف وفتحت مسجل الفيديو الذي أظهر الرجل وهو يَحفر في الحديقة وقامت بِحفظ الفيديو، وعندما انتهى دفع الجثة بساقه فوقعت في المقبرة التي صَنعها، كان ذلك أسفل شجرة صغير.

بدأ في ردم الجثه وأهال عليها الرمال مرة أخرى حتى ساوى الأرض، وفجأة أنتفضت ريموند عندما تم إنارة الغرفة فإلتفتت لبيشوي وهو يقول:

- إنتي قفلتي النور ليه يا ماما؟

لَمْ ترد، فقط التقطت نفسًا يجدد الهواء في رئتيها وتنفست الصعداء، تَذكرت أمر ما يحدث بالخارج فوجهت بصرها مرة أخرى للحديقة عبرّ

الشرفة، عاد السكون يخيم على الحديقة وأختفى الرجل، تناست هي أمر مسجل الفيديو، رَجعت ورمت جسدها الواهن على الفراش، ونتيجة لعدم نومها لأيام أستسلمت للنوم لعله يكون الهروب مِن الواقع المفروض.

وفي الصباح إستيقظت وأيقظت الأطفال لتذهب برفقتهم إلى الكنيسة، فتحت باب المنزل وأستعادات ما حَدث بالأمس، راحت مكان الحفر فذهبت ولَمْ تَجد أثار مكان الموقع، العشب سابح على الأرض بدون نبش أو حفر في أرجاء الحديقة، تَعجبت وقفت بملامح مشدوهة للحظات، خَلَفَتَ الأفكار التي تدور في رأسها وذهبت للكنيسة.

اليوم هو يوم الأحد، الكنيسة مزدحمة كعادة يوم الصلاة، جَلست ريموند في خشوع مع لقاء ربها، تتضرع وتسأل الغفران عَن خطاياها، وبعد الانتهاء ظلت ماكثة لوقت إضافي بعدما خرج الناس أجمعين، فطنت ريموند صوت خادم يقف مع امرأة كان مِن الواضح إنها تشتكي فسمعت العظات دون أن تفتح عينيها كأنها تجعل ذهنها صافيًا وتستمع متأثرة وهو يقول:

- طريقكِ معوج مش مستقيم عشان علاقتك مع الرب قليلة، طريق ربنا مِن خلال الكتاب المقدس، هتعرفي ربنا وتشوفي نعمه ومعجزاته لما تفتحي الكتاب المقدس وتسمعي صوت ربنا، هيحدد ليكي الطريق هيخلي حياتك زي الرسمة اللي بيتحكم فيها فنان ويطلعها بصورة كويسة، مِن غير قراءة مَفيش فرح ولا أنك تتخلص مِن شهواتك ولا خطاياك، العفة والطاهرة وتخليص الذنب وصفاء القلب مش بيجي غير مِن القراءة في الكتاب المقدس .

فتحت عينيها براحة وأستشعرت إن ذلك الكلام موجه إليها، نزلت عليها السكينة للحظات قَبل أن تَقف وتسلك الممر، أنعطفت حيث ملجأ القس

الذي ذهب للغرفة عند إنتهاء مراسم الصلاة، لَمْ يكُن القس فقط بداخل الغرفة، كان معه عاطف يتحدث إليه، شَعر عاطف بوجود ريموند فإلتفت وتوقف عن الحديث، نظر لها مُستغربًا، فقطع القس الإستغراب الظاهر على وجهه

- أتفضلي يا ريموند يا بنتي .

تقدمت بخطى وئيدة، وضعت قبلة على يد القس وهي تَرمي طرف عينها لعاطف:

- عاملة إيه النهارده

أكتفت بهز رأسها بدلالة الحمد.

- روحتي للدكتور زهدي.

هرب بؤبؤا عينيها لوقفة عاطف ثم نظرت للقس:

- اها روحت و. . .

تجمعت الحروف في حلقها حذرة مِن البوح بشيء أمام عاطف فقاطعها القس بإيماءة مِن رأسه:

-متخافيش كملي.

- هو مش كلمك؟

أجاب القس:

- كلمني.

لم تتفوه ريموند فأستكمل القس:

- نسيت أعرفك على عاطف . .

نظرت ريموند له وهي تنحني برأسها قليلًا فبادلها عاطف التحية وأكمل القس:

- عايزك تحكيله عن كل حاجة بتحصل معاكي ومع الأولاد ومترددیش لحظة، عاطف مِن ابناء الكنيسة المخلصين ومعانا هنا للخدمة ديمًا . .

صوب عاطف نظرة على القس وعقد حاجبيه لعدم إطلاعه على ما ينوي القس ولا عما يتحدث:

- هيجيلك ويباركك ويبارك البيت ويلاحظ أيّ حاجة

قالت ريموند:

- ماشي يا أبونا.

- تقدري تتفضلي أنتي.

هـمت بالخروج مع أطفالها قبل أَنْ يستوقفها القس قائلًا:

- أي حاجة تتواصلوا مع بعضيكم عن طريقها، أدي لعاطف رقمك وعنوان البيت بتاعك عشان يتابعك.

أخرجت ريموند ورقة بيضاء مِن حقيبتها السوداء وقلم حبرت به الورقة بعنوان منزلها ورقم هاتفها وبَسطت ذراعها وهي تعطي الورقة لعاطف ثم غادرت الغرفة بعد أن استأذنت.

فسأل عاطف بعدما غادرت:

- إيه دا يا أبونا، مش فاهم حاجة؟

- موضوع هحكيلك عليه بعدين بس المهم قولي مبشوفش أي أخبار في الجريدة اللي بتشتغل فيها يعني؟

قهقه عاطف:

- مهو بعدنا عن الخطابات الدينية، المواضيع الشائكة يعني.

قاطعه القس:

- وهو إنك تذكر الكنيسة بخبر بقا موضوع شائك.

أومأ برأسه بما ينم علامة الإيجاب وأردف:
- في الوقت دا كلمة مسيحي أو مسلم في خبر بتشعلل الدنيا، فمدير التحرير مانع أي حَد إنه يتوغل في الموضوع دا، مش عايز يجيب لنفسه الشوشرة ودا قال ودا عاد، وبيني وبينك هو فعلا عنده حق .
- مفيش بلد هتتعدل بيكون فيها دينين بيحاربوا بعض، ولو كان مابينهم حتي سلام وشعارات زي ما بيقولوا، مفيش بلد حالها هيتصلح هيكون فيها أكتر من دين داخل الدولة، الإضطهاد الديني هيتزرع هيتزرع في قلوب الاقل عددًا في حين الدين اللي مستحوذ على الساحة رواده هيحسوا بأنحياز رؤسائهم للدين الأخر.
سكت عاطف لبرهة وهز رأسه مؤكدًا كلام القس ثم أردف عاطف ناظرًا للقس بإهتمام:
- إيه صحيح حكاية الست ريموند؟
- الحكاية طويلة.
- معاك
- بتقول أن كل واحد مِن الطفلين بيجي يحكليها عن التاني حكاية، مرة واحد يقولها ان توأمه ظهر له حاجة غريبة، والتاني يحكي لها على الاول عن إنه شافة مع واحد ظهر لهم في الاوضة بتاعتهم، وهي كمان ظهر حاجات غريبة في البيت بدأت تحس بوجودها، دق علي باب الاوضة ومش بتلاقي حد و. .
قاطعه عاطف ثانيةً:
- بعتهم لدكتور زهدي.
- أه، قال إن مفيش أي أعراض ظاهرة على ريموند، هو مش أجزم أنها

مش مريضة، بس في الجلسة معاها محسش بأي أعراض نفسية لا ليها ولا للطفلين.

- وأنت هتقومني بالمهمة دي!

- ملاقتش أجدر منك يقوم بيها .

- ماشي يا أبونا، هستأذن أنا دلوقتي عشان عندي شوية شغل، هخلصهم وهحاول أروح بيتها أشوف حالها.

- تمام يا إبني أتفضل .

* * *

رَاحت ريموند تغلق جميع النوافذ، عَرجت إلى الصالة، جَلست على الأريكة أمام التلفاز لتُشاهد فيلمًا وهي تَحيك معطفًا، بينما الأطفال نيام في الغرفة، ووَسط تفاعلها مع الفيلم سمعت صوت صرير باب يغلق، قتلت الفضول بداخلها وتوجهت ناحية الغرفة بخطى وئيدة، كان الباب مغلق بالفعل فأدارت المزلاج ومسكت المقبض لعدة ثوان قَبل أَن تَفتح الباب بقلب تزداد سرعة دقاته مع كل سنتيمترًا يتحركه الباب، نظرت لأركان الغرفة الأربعة ومشت بِضع خطوات فلَمْ تجد أحد، مر جسد بسرعة البرق مِن وراء ظهرها، نَظرت فلم تُبصر شيء!

عاد نظرها مرة أخرى للنافذة، تحركت لتتابع إذ كان هنالك شيء يحدث بالخارج قَبل أَن يعاود الباب أحداث صرير حاد، مخيف ويغلق الباب مِن تلقاء نفسه، ذهلت وتطلعت للباب بعين جاحظة، أخذت ريقها عنوة، تقدمت بِضع خطوات وتطلعت في المرآة، ظهر لها في المرآة جسد امرأة بشعة يلوح برأسها فالتفتت ريموند في ذعر ونظرت خلفها فَلَمْ تَجد الإنعكاس الذي ظهر لها في المرآة، قاومت حتى وصلت للباب الذي لَمْ يردخ لمحاولات

فتحه، توجست خيفة وظلت تضرب الباب بكفيها وتجذب مزلاجه بعنف، أطلقت حنجرتها أصوات أستغاثة لعلّ أحدًا يسمعها، خافت مِن أَن يُصيب الأطفال أذى وتناست أمر المرأة البشعة التي ظهرت لها مرة أخرى في أخر الغرفة، كانت مطعونة بسكين في بطنها والدماء تسيل حتى ركبتيها وشعرها مبعثر على جسدها العاري، عينها بيضاء لا يشوبها ما يُعكر صفوها، أرتَدت ريموند حتى التصق ظهرها بالباب مستندة عليه، ظلت تَطلق صرخات بلا إنقطاع كصوت تحذير القطار، تتلفت بتشنج يمينًا ويسارًا برأسها، دنت المرأة منها وهي تضحك ضحكات شيطانية.

* * *

وَقف عاطف في الحديقة يَتفقد المنزل مِن الخارج للحظات، أقترب مِن باب المنزل، رَن الجرس أربع مَرات ففُتح الباب بواسطة امرأة، نظر لها عاطف مليًا ثم قال لعدم التَعرف عليها:

- منزل مَدام ريموند.

أومأت برأسها موافقة ولَمْ تَنبس ببنت شفة:

- هي موجودة ؟

قالها عاطف ولَمْ يَتلقْ إجابة، تَركته على الباب وعادت، شل عاطف لثوانٍ في مكانه قَبل أن يتبعها بنظرات مُتفحصة حتى رأها قَدْ عَرَجت لإحدى الغرف وتركته في الصالة متسع الحدقتين يحاول تفسير ما يحدث، تَفقد حال المنزل مِن فترة لأخرى بواسطة عينيه التي دارت في أرجاءه، لَمْ يَكُن رائق البال مِن تلك المرأة وتذكر أمرًا زاده استغرابًا، ألا وهو أن القس قال إنهم يقطنون المنزل بمفردهم !

لَمْ يُعط للأمر أكثر مِن دقيقة تَفكير قَبل أن يعيد الحسابات ويخمِن أنها

إحدى أقاربها قَدْ جاءت لتخفف عنها، وأبْعد تلك الأفكار عن ذهنه، لكن بعد مرور عشر دقائق أستغرب عدم إستقباله بواسطة ريموند ولا حتى تلك المرأة الغريبة، تداخلت في عقله الأفكار مُجددًا، سار مَسلك المرأة حتى وَصل للغرفة، دلف بابها وتفقدها جيدًا فلَمْ يَجد المرأة، تماسك وهو يجول ببصره في أنحاء الغرفة، خرج منها وتفقد الغرفة الأخرى فوجد الأطفال نيام فيها، عَرج للغرفة الأخيرة فوجدها مغلقة، دفع الباب ففتح نِصف فتحة بسبب وجود شيء وراء الباب كان عائقًا وجعله لا يُفتح على مصرعيه، كان ذلك جَسد ريموند المُسَجَّى على حافة الباب وهيمغشي عليها، دفع عاطف الباب بَكُل ما أوتي مِن قوة حتى مَر مِن جزء صغير ورفع ريموند على يده كعريس يَحمل زوجته يوم الزفاف، وضعها على الفراش والتقط قنينة عِطر مِن على الكومود ثم أفرغ محتواها في الهواء بالقرب مِن أنفها فتحركت فتحت مِنخارها للرائحة وتحرك جسدها وجاهدت مِن أجل أن تفتح عينيها بما ينم عن أستعادتها للوعي رغم الصداع الذي كان يَكتنف رأسها، عندما فتحت عينيها بحرية، أطلقت فكيها كما لو أنها لبوءة تَستعد لِنَهش لَحم الغزال، وأطلقت صرخات عن طريق حنجرتها في وجه عاطف بقوة كبيرة جدًا، فراح يهدئ مِن روعها وهي تردد بأنفاس متسارعة:

- ظهرتلي.

سكتت لثانية، بَكت بحرقة مُذرفة دموعًا غزيرة:

- كانت مقتولة .

- مين دي يا مدام ريموند؟

- أنتَ كمان مش هتصدقني.

- لا هصدق، بس أهدي عشان أفهم، إيه اللي حَصل؟

أستندت على مرفقها، جلست، صمتت قليلًا، وعيناها غارقتان في الدموع:
- ظهرتلي . . كانت مقتولة وبتتحرك . . كانت . . كانـ . . كا . .
قاطع عاطف ترددها:
- متقلقيش
أغمضت عينيها بوهن فسأل عاطف:
- هو في ست معاكي في البيت، قريبتك أو صحبتك مثلا.
انتبهت إلى حديثه:
- لا.
فتحت عينيها عن أخرهما بإستغراب ثم أردفت:
- أنت دخلت أزاي؟
لَمْ يعقب عاطف، فقط عَالج الأمر في ذهنه، تأكد تمام التأكد إن الأمر ليس لهُ علاقة بالمرض النفسي، وعليه الإستعداد لخوض تلك المغامرة الجديدة كما هو الحال مِن فترة لآخرى.
- أزاي دخلت؟
صَاحت ريموند فشتت أنتباه عاطف الذي قال:
- أهدي يا مدام ريموند .
- الأولاد . . الأولاد.
قالتها وهي تتلهف للنزول مِن على الفراش قَبل أنْ يوقفها عاطف:
- متقلقيش نايمين تحت في أوضتهم، أما بالنسبة أنا دخلت هنا أزاي فواحدة فتحت لي الباب.
- واحدة . . ! واحدة مين؟
- واحدة ست سألتها أنْ البيت دا بتاعك هزت رأسها ودخلت الأوضة وبعد

كدا . .

قاطعته ريموند:

- بعد كدا إيه، وواحدة مين اللي تحت، مفيش حد غيري في البيت انا والعيـ . .

قاطعها عاطف:

- مش أنتي وعيالك اللى لوحدك يا مدام ريموند.

سمعت الجملة، رسمت علامة الصليب أمام وجهها، وبتلقائية وثبت مِن على الفراش، تبعها عاطف حتى دَخلت غرفة الاطفال فوجدتهم مُغطين في نومٍ عميق، نظرت لعاطف وقالت:

- معنى كدا إنهم ظهرولك.

أومأ برأسه فقالت:

- يعني أتأكدتوا إني مش بخرف.

- كان لازم يتحط في الأعتبار الجانب النفسي.

تبدلت ملامح وجه ريموند وتذكرت أمر الهاتف والفيديو:

- عندي فيديو في الموبيل نسيت أوريه لأبونا آرميا وكان عفاني مِن حكاية الدكتور النفسـ . .

قاطعها عاطف:

-فيديو إيه؟!

تابعت ريموند:

- بصيت مِن الشباك لاقيت واحد بيحفر في الحديقة برا وبيدفن جثة فصورته.

تَشوق وجه عاطف وقال:

- جميل طب هو فين الفيديو.
وجدت ريموند الهاتف موضوع على الفراش بجانب الأطفال، أخذته، لامست الشاشة المزودة بخاصية اللمس، فتحت ملفات الفيديو، اختارت الفيديو الذي سجلته وهي تشير على الشاشة:
- أهو.
فتحت الفيديو، كان أول ثانيتين الشاشة سوداء، وضح الفيديو الحديقة لكن ما جعل عينيها تتسعان بإستغراب هو أن الفيديو كان خاويًا، دقيقة ونصف هي عمر الفيديو التي سجلته ريموند بالأمس للرجل وهو يَدفن الجثة، لكنه أختفى مِن الفيديو الذي مرت فيه الدقيقة ونصف ولا يوجد فيها غير الحديقة خالية، وعندما انتهى الفيديو نَظرت لعاطف بعينين مذهولتين.

بعد ربع ساعة. .
جَلست ريموند على الأريكة في خشوع تُتَمْتِمْ بالصلوات، وتمتم عاطف بآيات مِن الكتاب المقدس وهو يُعلق صلبان خشبية على حوائط المنزل.
عند الإنتهاء طمأن عاطف ريموند وهو يَعلم إن الأمر سوف يَزداد تعقيدًا وقَبل أن يغادر مِن باب المنزل قال:
- لو حصل أي حاجة اتصلي عليا فورًا.
ضغطت ريموند على جَبينها كإنها تُزيح الصداع عن رأسها، هزت رأسها مرات عدة وهي تزفر بقوة ثم نطقت بأخر ما تبقى مِن صوت خرج بصعوبة:
- أنا تقريبًا مش هقدر أكمل هنا، هشوف أي حَد مِن صحابي أبات عنده، بكره بليل هيكون أخر يوم ليا في البيت دا، يحفظني الرب أنا والعيال الليلة دي بس.

- زي ما تحبي.
هم عاطف مُغادرًا لكن أستوقفه سؤال فقال:
- بتروحي الكنيسة؟
طأطأت رأسها في خجل ولَمْ تتفوه، فهم عاطف الجواب دون أنْ تتكلم ونَطق:
- صلي كتير يا مدام ريموند وياريت نشوفك في الكنيسة إنتي والأولاد علي طول.
- حاضر
- تصبحي على خير.
- وأنتَ من أهله.
أصبح عاطف على مسافة، مما جَعل ريموند تَغلق الباب وتَرجع لتجلس بجانب الأطفال على الفراش، سويعات قليلة تَغط في النوم فيهم لتستيقظ فَزِعة على كوابيس بدلًا مِن أن تَعيشها في الواقع.

(١٤)

كانت مريم في إستقبال عاطف على العشاء عِند عودته، اعتذر عن الأكل وذهب للغرفة، فرد ظهره بجوار زوجته مريم، والتفكير يعتصر عقله، تِلك الفترة التى تكون فيها على حافة النوم كما يحدث للبشر أجمع من تداخل أحداث في العقل، مستند برأسه للوراء بشرود.

همت مريم بِمُداعبة زوجها لكنه أعتذر مرة أخرى، وعندما استسلم للنوم، حلم إنهُ في مكان لا يصف شيء غير هالة تحيطه مِن جميع الاتجاهات كأنه وسط سحابة ضخمة لا يَعبر نظره مِن خلالها، تلك الأضواء البيضاء التى تُبصرها مِن نافذة الطائرة التى لا تُتيح رؤية ما الذي يِحدث وراء تلك السحب، ومِن وراء السحب ظهر رجل لَمْ تَختلف ملامح وجهه عن تلك السحابة البيضاء، رجُل هُلامي يقترب، أو لأكون أكثر دقة يَطير، يَرتفع ببعض السنتيمترات في الهواء.

استغرب عاطف فقال:

- مين؟

لَمْ يَجب، فقط أُطلقت أشعة شديدة كأشعة الشمس عندما تضرب عينيك في الصباح والذي تجعلك تحجبها بكفيك، حجبها عاطف، ثم ردد الرجُل:

- أنا اللي قودتك للبيت .

- بيت مين؟

جاوب الرجل بإجابة ليس لها علاقة بالسؤال:

- حقيقتك هناك دور عليها .
- حقيقة إيه؟
في تِلك الأثناء أستيقظ عاطف مفزوعًا وهو يزدرد ريقه، ثم استيقظت مريم عندما أنتبهت لفَزع عاطف مِن النوم:
- مالك يا عاطف؟
قالتها ثم فتحت الأباجورة الموضوعة على الكومود:
- مفيش، مجرد كابوس .
- طب أفرد ضهرك وكمل نوم .
أكتشف عاطف جفاف حلقه فقال:
- ريقي ناشف عايز أشرب.
أزاحت مريم الغطاء عنها، قالت:
- حاضر.
مدت ساقيها إلى الأرض، ثبتت خف في رجليها، ذهبت لتأتي بزجاجة مياه تَجرع عاطف منها القليل، أرخى ظهره على الفراش وراحت مريم تلامس جبهته بأناملها الصغيرة، وتَمسح بيديها على وجهه بِحَنان قَبل أن يَعود مغطًا في النوم مِن جديد.

* * *

الجريدة.
عصر اليوم التالي.

جَلس عاطف في مكتبه وهو يتفَكر في أمر منزل ريموند، وأمر تلك الرسالة التي جاءت في الحلم .

الرجل الذي ظل يؤكد أن الحقيقة هُناك ويجب عليه أنْ يَلحق بها، لكن حقيقة ماذا ؟ وعن أي شيء ذلك الرجل يتكلم ؟ أم إنهُ مُجرد حلم لا علاقة له برسائل ؟ لكن ذلك طرح في عقله تساؤلات لم يُجبها إلا إنَّ إحتمال أن يكون هذا المنزل هو القضية التي تشغل باله حاليًا (منزل ريموند).

وأثناء تفكير عاطف في الأمر راح يُسجل ما يحدث على الورقة التي سوف يُهديها للقس عن مكان المنزل، دَوّن هاتفها وكتب كُلّ المعلومات ليربط الخيوط ببعضها، ليكتب تقريرًا مفصلًا عما يَحدث للقس الذي طلب منهُ ذلك، وبَعد فترة ترك الجريدة وغادر ذاهبًا إلى الكنيسة، كان ذلك في وقت مجيء مازن للجريدة، وكعادته دخل مكتب عاطف بِتَطفل ولَمْ يَجده، ظل يدور في المكتب لفترة حتى عقد حاجبيه عندما وقعت عيناه على ورقة موضوعة على المكتب، أقترب ومَد يده متفحصًا الورقة التي دون عليها:

- العنوان / مصر القديمة شارع (. . . . .) شقة ١٢

رقم الهاتف / ٠١٠١٧٤١٧١٢٢

- الحالة لا تعاني مِن أي أضطرابات نفسية، كل ما حدث لها حقيقيًا ليست محض أوهام، اليوم شاهدت هذا بنفسي ، ذهبت إلى منزلها، حينها فتحت لي امرأة سألتها عما إذ كانت ريموند بالداخل أم لا. . لم تُجب، وقفتُ في الصالة لفترة قَبل أن تَدخل تلك المرأة في إحدى الغرف وبعد مدة طويلة أستغربت الأمر، وتذكرت حديث القس آرميا إنها تعيش فقط مع الأطفال، زادني الفضول فدخلت إلى الغرفة التي دخلتها المرأة فلم أجد أحد كأنها تَبخرت، بحثتُ في باقي الغرف الأخرى فوجدت ريموند مغشي عليها وعندما أفاقت سألتها عن المرأة التي ظهرت فأجزمت إنها تعيش بمفردها مع الأطفال وليس ثمةأحد معها ! -.

ضَحك مازن بِخبث قَبل أن يَطوي الورقة ويضعها في جيب سرواله، خَرج مِن المَكتب وأغلق الباب وهو يهز برأسه متفقدًا المكان، نَزل مِن الجريدة، أستقل سيارة أجرة وأملى على السائق العنوان المدون في الورقة، وعندما وَصل وَقف قَبل أن يدلف الحديقة، أخرج الكاميرا والتقط صورًا عديدة للمنزل مِن زوايا مختلفة ثم عَبر الحديقة، رَن جرس المنزل، ففتحت ريموند:

- مدام ريموند.

ردت ريموند بإستغراب:

- مين؟

أخرج مازن بطاقة تعريف هوية وبطاقة الجريدة وبسط ذراعه:

- مازن مرزوق صحفي.

أخذت ريموند البطاقة وهي تَنظر لها وتلحظ بطرف عينيها شكله، قالت في قرارة نفسها لِمَ لا يكون ذلك شَبح مِثلمَا ظهرت المرأة ليلة أمس لعاطف ؟ لكنها خَلَفت تلك الأفكار وراء رأسها.

تَفحصت البطاقة فنطق مازن في ظل سكونها:

- كنت عايز أخد شوية معلومات منك.

تعجبت ريموند وسألت:

- معلومات عن إيه؟

- عن الحاجات الغريبة اللي بتظهر في البيت.

تظاهرت ريموند بعدم المعرفة:

- حاجات بتظهر في البيت!

- مش دا منزل الدكتورة ريموند.

قَاطع كلامه وأخرج الورقة وهو يمرر عينيه عليها:

- شقة ١٢ شارع (. . . . .) مصر القديمة.
هزتّ ريموند رأسها نصف هزة فقال مازن بإلحاح:
- متقلقيش يا مدام، أنا صاحب عاطف.
سرحت ريموند لثوان ثم قالت بتلعثم:
- ل . . لا أبدًا .
أشارت نحو الداخل:
- أتفضل.
خطا مازن خطوتين مِن الباب ثم وقف ثابتًا يَتطلع المنزل، أغلقت ريموند الباب وراء ظهرها وتابعت:
- أتفضل أقعد.
جلس مازن بالقرب مِن طاولة موضوع عليها تِمثال السيد المسيح، حسس عليه للحظات ثم أخرج هاتفه المحمول وتظاهر إنهُ يَكتب رقم على الهاتف، لكنه فَتح المُسجل الصوتي ووضع الهاتف في سرواله كأن شيئًا لَمْ يَكُن:
- شوية أسئلة هسألهالك طلبها مني عاطف لانه مشغول اليوم.
- أتفضل مفيش مشكلة .
سألها أسئلة غير مباشرة حتى لا يُثير الشكوك حول نفسه وتَستنتج ريموند أنها في حديث صحفي، أقتنص ما أراد بغير حق وتعدى على حقوق الغير بِخبث، صَدقت كلام مازن إنه يتبع عاطف وهو يريد بعض المعلومات لأنه مَشغول.
سبق صحفي كبير لمازن وأركان الدفاع جاهزة في حالة النشر ورفع قضية مِن قِبَل ريموند ،التسجيل موجود ،الكلام كلامها.
ومِن البديهي أن التسجيل يقول إن ريـموند وافـقت عـلى إجراء حديـث،

هذه الدلالات التي تُبرئ مازن والتي قالها في ذهنه لو تم اللجوء للجانب القضائي مِن الجانب الأخر، وعند الإنتهاء سلم عليها وهم مُغادرًا.

* * *

في الطريق كان الشفق بدا جليًا، يبحث عاطف عن الورقة التي دَوّن فيها ما يحدث في شقة ريموند جيوب سرواله، تحت أُقدامه، جيب القميص الأسود، لكنه لَمْ يجدها، ضرب يد باليد الأخرى مُحدثًا طرقعة كالتصفيق عندما تَذكر إنه قَدْ تركها في المكتب، في تلك اللحظة فكر في الإطمئنان على ريموند فجلب هاتفه واتصل على رقمها فأجابت:

- مساء الخير.

- مساء النور.

قالتها ريموند فعاجلت قَبل أن يَتكلم عاطف:

- صَاحبك جالي النهارده .

أستغرب عاطف وردد:

- صاحبي ! صاحبي مين؟

- عايز تقولي إنك مبعتش حَد يستفسر عن اللي بِيَحصل ويطمن عليا لو في حاجة حصلت في البيت!

- لا مفيش الكلام دا خالص.

- أها . . فهمت.

- فهمتي إيه؟

- زي ما ظهرت لك الست وأختفت . .

- طب مقالكيش أي حاجة ولا إيه اللي حَصل؟

- أها قالـ . .

قاطعها:
- طب اسمه إيه؟
- مازن.
تذكر عاطف أمر الورقة التي تركها على المكتب، جَز على شفتيه ثم قال:
- اها لا دا في لعبة بتحصل .
- لعبة . . لعبة إيه؟
- لا مفيش، المهم في حاجة حصلت بعد ما مشيت إمبارح ؟
- لا مفيش حاجة حصلت . . ودا اللي مستغـ . . .
وقفت الكلمة في حلقها عندما فُتح باب غرفتها، زادت الإضطرابات في نفسها، أزاحت الهاتف عن أذنها، أقتربت ناحية الباب بخطوات مترددة، قلبها يزداد خفقانه كما لو إنهُ أرجوحة تعلّو وتهبط، أقتربت أكثر فوجدت ثلاث أطياف لأشخاص في الصالة، واحد منهم يقف مذهولًا بينما الاثنان الأخران يتعاركان، تَملص واحد منهم وطعن الرجل الواقف مذهولًا في بطنه، فبادر الأخر الذي كان يَتَشاجر معه وطعنه هو الأخر فسقط في الحال.

* * *

سَقط داوود على الأرض فجثا فريد فوقه، وقف الخواجة مذهولًا، مشتتًا، يحاول استيعاب ما يحدث، تقدم إلى الصالة ورطم الباب خَلف ظهره، شد وجذب. يَحرك داوود رأسه يمينًا ويسارًا محاولاً تفادي اللكمات المبرحة، تَملص داوود بعدما رَكل فريد بين ساقيه، أخرج سكينًا حادًا يتلألأ حده في ظلام الصالة وفي أعين الحاضرين، ثم زَرَعَ السكين في بَطن الخواجة، في تلك اللحظة مرت جميع الوجوه أمام الخواجة، وقف لبرهة مُتسع الأحداق، وفوه مفتوح، ونظراته جامدة، ثم أرتطم بجانبه على الأرض،

بعدما بهتت الصورة في عينيه، وعتمت الحياة بالنسبة لهُ، واقفا مندهشين وخاصة داوود المولي ظهره لفريد، وقف متناسيًا أمر فريد القابع خلفه، لَمْ يَتذكر داوود أمرفريد الذي قام ببطء وبيده أحاط داوود وبالأخرى زَرَعَ السكين في بطنه، فأصبحت البطون أرض دست فيها السكاكين، وارتوت بالدماء المنسكبة مِنها.

* * *

أنزلق الهاتف مِن يد ريموند، أطلقت صرخة أخترقت يديها التي وضعتهما على فمها، بينما عاطف مازال يردد عَبر الهاتف:

- ألو . . ألو . . مدام ريموند إيه اللي حَصل . . ألو . .

ثم انقطع الخط.

حبست ريموند أنفاسها، لاصقت ظهرها بالجدار، خَرجت نصف مترًا خارج الغرفة لتستكمل فيلم الرعب الذي ظهر لها، ورأت شخص يحطم جزء مِن جدار الغرفة بَعد أن أزاح برواز كبير.

* * *

قَبل أن يكتشف سر يضاهي إكتشاف هوارد كارتر لمقبرة توت عنخ آمون ،سرّ فتح بابًا مِن اللعنات التي لَمْ تُغلق، وهيجت لعنة أوحَش مِن لعنة عصفور كارتر والعاملين في مقبرة توت عنخ آمون، بَحث فريد عن الأموال فَلَمْ يَجد شيء، دَخل أخر غرفة وهو يَمسحها بعينه، كانت خالية إلا مِن بعض الأثاث القديم المهترىء، وبرواز كبير معلق بِشكل غريب، مسافة عشرون سنتيمترًا فقط مِن الأرض أزاحه جانبًا فظهر مكانه حائط كان يَستعد داوود أن يبنيه مجددًا بواسطة الأسمنت، لمعت في ذهن فريد أن هذا مكان الأموال، رغم

خوفة الشديد حتى لا يكتشف أحد أمر الجثث في الخارج.
ظَهر نَفق صَغير يُفضي إلى غرفة صغيرة يتركها المهندسون في المنزل (مسقط)، تَعجب فريد مِن إخفائِها وَعَقد العزم على مِرور النفق المعتم الذي بلعه، وصلت لأنفه رائحة عطنة تخللت أنفه حتى وصل لتلك المساحة، كانت لهفة فريد برغم كل شيء عارمة، فحسب إنه قد اكتشف منجمًا للأطنان مِن الذهب الخالص، أو ماس سيقوم بإستخراجه مِن باطن الأرض، ظن أن طَاقة القدر فُتحت، وأقل تقدير أن يكون هذا المخبأ السري يُستخدم كخزينة مُمتلئة بأكياس النقود والمجوهرات، كان يَسير في الممر المُفضي في آخرهُ إلى حجرة أشبه بحجرة الدفن التي كانت تُستخدم مِن قِبَل الفراعنة في الأهرامات، زَحف حتى وصل وعيناه تستكشفان ما حوله في الممر لكن الظلام كاحل، أخرج علبة أعواد ثقاب وأشعل واحدًا فصدم مما رأى وكاد أن يجن، وجد نفسه محاصرًا في الغرفة .
كان المنظر مهيبًا، جعل حدقتيه تكاد أن تَخرج مِن محجريهما بجانب أرتخاء أعصابه وأرتعاش ساقيه بِفَعل الرائحة التي لا تطاق، جثث تم غزوها عن طريق الحشرات التي فتت أحشائها وهَضمت نصف الجثث الأخرى، غير العظام الساكنة على الأرض، الرجْل، ثم الخصر، ثم القفص الصَدري، ثم الجمجمة بدون جلد ولا أعضاء، أصبح إبتلاع الريق مع مزيج الرائحة شيء في غاية القرف والإشمئزاز لفريد الذي تسارعت دقات قلبه مِن هول المنظر، هذا هو الكنز الثمين الذي كان في أنتظاره، العظام الموجود هي الماس المُستخرج مِن باطن الأرض، والجثث التي بكامل هيئتها ولَمْ تقرب لها الحشرات هي الذهب الخالص، هذا هو الأكتشاف الذي سيغير مجرى حياة فريد التعيسة، لهبت الخواطر عقله أثناء طريق العودة، فإستشعر

الخوف وأسرع مِن وقع أقدامه ورجع عن طريق النفق الصغير، ثم فكر مليًا في إخفاء جثة الخواجة وداوود بجانب إخوتهم الباقيين.

* * *

أغلقت ريموند الباب، رجعت للفراش، أسندت رأسها للوراء في ذهول، وبعد نصف ساعة قطع ذهول ريموند دق على الباب بِشدة فإلتفت فَزعة ورددت بشفاه مرتعشة:

- مين؟

- أنا عاطف يا مدام ريموند

جرت ناحية الباب بدون تردد، فتحت فقال عاطف:

- مالك في إيه كنتي بتصرخي ليه في الموبايل.

مَسكت معصم عاطف وشدته ناحية الغرفة التي كانت مسرحًا للجريمة قَبِل أنْ يأتي، وقف عاطف يدقق النظر في الغرفة التي كانت خاوية، لَمْ يَجد شيء ولا حتى ريموند شاهدت الرجل الذي كان يحطم جدران الحائط، نظر لها عاطف بعدم إستيعاب، فقالت ريموند وهي تشير على المكان الذي كان يُحطمه الرجل:

- كان بيكسر . .

تَنهدت وهي تُجاهد مِن أجل إبقاء عينيها مفتوحتين:

- كان بيكسر الحيـ . .

هَبط ضغطها كـطائرة تهوى ، قَبْل أن تُكمل الكلمة وقعت مغشي عليها، لحق عاطف جسدها قبل أن يتهاوي على الأرض، حَمَل جسدها النحيف على كتفيه ووضعها على الفراش، وبيده لَطم خديها بِحنان ورَّش قطرات مياه على وجهها علها تصحوّ مِن غيبوبتها، فتحت عينيها نصف فتحة قَبِل

أنْ تَتمالك وتقول:
- أنا فين .
قالتها وأستندت على يد عاطف:
- إيه اللي حَصل؟
نظرت في غرفتها الخالية ثم أردفت:
- الأولاد فين كانو نايمين هنا؟
أشار عاطف على مكان الأولاد في الصالة:
- متخافيش الأولاد بخير موجودين في الصالة
لفظ عاطف فأستراحت ريموند كمن روي بعد ظمأ في صحراء جرداء، رجعت برأسها للخلف بهدوء، قَبل أن تَعتدل مرة أخرى وترتشف كوب مياه جلبه لها عاطف، تَنهدت وأستردت أنفاسها فقال عاطف:
- عايزك تحكيلي اللي حَصل . .
ضغطت على رأسها لتطرد ذلك الصداع الذي يُداهم رأسها:
- أنا بشوف الماضي، بيظهرولي وبيورني الماضي بتاعهم تقريبًا، كان ثلاثة بيتخانقوا وأتنين منهم ماتوا واللي فضل عايش دخل الأوضة التانية وحفر في الحيطـ .
قاطعها عاطف:
- والمرة الي فاتت كان بيحفر في الحديقة.
- أها.
أطرق عاطف مُفكرًا:
- تعرفي تحددي مكان الحفر اللي في الحديقة؟
قالت وهي تهز رأسها هزات خفيفة:

- أها عند الشجرة.
سأل عاطف مُجددًا:
- طب والأوضة؟
- مالها؟
- تعرفي تحددي مكان الحفر؟
- أه ممكن . .
- في هنا أي آلة نحفر بيها؟
- أه.
- هاتيها وتعالي ورايا .

دخلت المطبخ وجلبت آلة حديدية لها مقبض خشبي يشبه إلى حَد كبير (الجاروف)، وتتبعت عاطف حتى الحديقة، تَركت الأطفال أمام التلفاز لتُلهيهم عما ينويان أن يفعلا بالخارج كان الظلام دامسًا ونورًا شحيحًا يأتي مِن مصباح موضوع فوق باب المنزل يبعث أضواء صفراء باهتة، لَمْ تضف أكتمال وضوح الرؤية لكنها قد أدت الغرض الكافي، تَناول عاطف الآلة وبدأ في الحفر تحت الشجرة طبقًا لما قالت ريموند الواقفة بتوجس خِيفة أنْ يَحدث ما لا يُحمد عقباه، كانت الأرض طينية مما سهل الحفر باستخدام الآلة الصغيرة، كما أن الأمر لَمْ يَكُن يتعدى أكثر مِن عشب يقتلع مِن الأرض حتى برزت تحت أحشاء الأرض كورة بيضاء لو رآها الأطفال لمارسوا بها لعبة كرة القدم المفضلة لديهم وذلك قَبل أن تَظهر سطح الكرة، أكمل عاطف نفض التراب والذهول قد ظهر عليه وعلى ريموند التي وقفت واضعة يدها على فمها كمن يَتحسر على فوات الآوان، ظهر بَعد ذلك باقي الجمجمة البيضاء، كانت جثة نهش الدود لحمها وأعضائها، فقط العظام وقفت

بالمرصاد ضد عوامل الطبيعة والتعرية ،محجران كبيران، ومكان أنف صغير نسبيًا، وفكين مُتطابقان، جمجمة جميلة تبدو لإمرأة جميلة لو كان رآها طالب في كلية الطب لجعلها شريكته في الحجرة، أندلعت صرخة مكتومة مِن حنجرة ريموند كما تندلع ألسنة اللهب في القش، توقف عاطف عن الحفر، ترك الآلة بإرهاق على الأرض قَبل أن يَقف منتصبًا وقال بعدما أنتهت صرخة ريموند التي جعلت الأطفال يحدقون فيهما مِن النافذة، دخل عاطف المنزل فتبعته ريموند ثم قال لها:

- مدام ريموند أنا هعمل حاجة لازم أستأذِنك فيها الأول.

نظرت ريموند في حيرة وقالت:

- حاجة إيه؟

- هتكوني وسيط روحي.

فتحت ريموند فاها وأعادت ما قال عاطف:

-وسيط روحي !

- أها.

غلفها الصمت للحظات:

- مش فاهمة.

- أنا في أحلام الفترة الأخيرة بدأت تزورني كتير بتقولي حاجات مش لاقيلها تفسير، حقيقتك هنا ودور عليها، في الأول مكنتش فاهم هنا فين بس أظاهر أنها هنا في البيت

- وأنت شايف أن دا الحل ؟ بغض النظر إني مش فاهمة حاجة من حكاية الوسيط الروحي . .

- ممكن يكون الحل، أوهيكون، لأن تقريبًا دي رسايل عايزين يوصلوهالنا

بطريقة أو بأخرى، زي ما بيوروكي الماضي واللي بيحصل في الماضي والحوادث الي شوفتيها وبتطلع بجد، بدأوا كمان يبعتولي رسايل مِن العالم الأخر عشان أكتشف اللي بيحصل، عايزين يوصلونا لمجهول أحنا مش عارفينه، عايزين يقولوا لنا في حاجة حصلت هنا بشكل أو بأخر،زيّ رؤيتك للماضي اللي بيتجسد ليكي أو الأحلام اللى بيبعتولي عن طريقها خيوط.

نظرت ريموند في دهشة وقالت:

- طب واللي بتقول عليه هيحصل أزاي ؟ هيكون دوري إيه ؟!

ساد صمت قطعه عاطف:

- أنا ليا قدرة على الإتصال بالعالم الأخر . .

أذردت ريموند ريقها بينما أستكمل عاطف:

- مكنتش عايز ألجأ لها، بس الظاهر أننا مُرغمين نعمل كدا.

- ودا هيحصل أزاي؟

- موضوع يطول شرحه، بس ببساطة في ناس كتير كانت بتتصل من العالم الأخر ومن ضمنهم أنا، بس مكنتش بستعملها إلا نادرًا، عارف أن الكلام دا ممكن يكون أبعد مِن الخيال، وخصوصًا مِن واحدة زيك متعلمة وشايفة أن دا كلو مجرد خرافات. . .

قاطعته ريموند:

- بعد اللي شوفتوا دا كله هلغي كلمة خُرافات مِن القاموس .

أستكمل عاطف بعدما أنتهت مِن الحديث:

- اللي عايز أقولهولك إنْ علماء كتير ودكاترة كتير أستخدموا النوع دا مِن مخاطبة الأرواح، وفي كُتب كتير جدًا بتتكلم عن الموضوع دا، وقصص أكتر . . قبل أي حاجة . . المهم أنتي موافقة؟

طرحت عيناها تساؤلات كثيرة قبل أن تقول بتردد:
- لو دا الحلفـ أنا موافقة .
- جميل. . يلا بينا
تفاجأت فقالت بِتَساؤل:
- على فين؟
- هيحصل دلوقتي؟
- دلوقتي !
- أها ويُستحسن الأطفال ميكونوش في نفس الأوضة، دخليهم الأوضة التانية وأحبسيهم .
هزت رأسها إيجابًا:
- ماشي.
دخل بيشوي وعادل غرفة ريموند وأغلقت عليهما الغرفة بالمفتاح مِن الخارج، سَدت مكان العين السحرية حتى لا يريا شيء مما سوف يحدث، عادت ريموند إلى طاولة في منتصف الصالة.
توقف الدم عن الجريان، شلت جميع أعضاء جسدها إلا قلبها يتراقص رقصة التانجو الأرجنتينية مِن شدة الخفق.
- قلقانة ؟
قالتها ريموند فرد عليها عاطف مطمئنًا:
- متخافيش الموضوع مش هياخد وقت.
- في خَطر عليّا ؟
- متقلقيش.
قالها عاطف لكن كلماته لَمْ تجرعها إلا أضطرابًا وخوفًا.

(١٥)

الوسيط الروحي؛ شخص له قُدرات خارقة ومِن ضمنها القدرة على الإتصال بالعالم الأخر مِن الأرواح أو الجان لهذا السبب يطلقون عليه (وسيط روحي) أي أنه وسيط بين عالم الأنس وعالم الجن.

ويدعي الروحانيين أن ظاهرة التحدث مع الأرواح والتحضير؛ إن لكل إنسان جسمًا ظاهريًا مرئيًا، وجسمًا أثيريًا شفافًا، وهذا الجسم الشفاف يُطابق الجسم المادي، والروحانيون هم الذين بإستطاعتهم رؤيته، كما إن الجسم الأثيري الشفاف ينقلع مِن الجسم المادي مؤقتًا وذلك في حالات منها الغيبوبة أو عند النوم، لكنه ينفصل تمامًا عند الموت، الأول يسمى طرحًا مؤقتًا وذلك عند الغيبوبة والنوم، والآخر يسمى طرحًا دائمًا وذلك عند الموت الذي يعود فيه الجسم المادي إلى الأرض التي منها وإليها يعود وخلق منها، ثم يعود الجسم الشفاف ، وذلك بعد إنفصاله عن الجسم المادي إلى العالم الذي هَبط منه وهو عالم الروح أو البرزخ.

وقد ذكر دكتور كارل في كتابه (ثلاثون عامًا بين الموتى):

- وجدت هناك مجموعة من الأشخاص لهم قدرة وساطية وهي قابلية لأستقبال الأرواح في أجسادهم وسميتُهم (الوسيط الروحي).

وقمت بعدة تجارب أكدت قدرة بعض الوسطاء علي نقل المواد من مكان إلىآخر أو سماع أصوات معينة في غرفة بعيدة عنهم وسميت هذه الظاهرة (الجلاء السمعي)، كما أكتشفت قدرة البعض منهم علي رؤية ووصف

حادثة في مكان أخر وسميت هذه بـ (الجلاء البصري).
ومِن كل هذه خلصت إلى أن الوسيط الروحي أو الشخص الممسوس بروح معينة تتكون لديه قدرات خاصة لإنه أصبح وسيطًا بين عالم الجن والأنس فتظهر عليه قدرات عالم أخر هو عالم الجن.
وكل وسيط لهُ قدرة معينة تزيد أو تقل حسب الزمن أو الظروف المحيطة به.
وهناك العديد مِن الظواهر الأخرى التي يتمتع بها الوسطاء وتكتشف بالتجارب كظاهرة الإلهام وعلاج الأمراض والإستقصاء عن شخص مجهول أو الكتابة والرسم وغير ذلك -.

* * *

كان الأثنان يجلسان أمام بعضهما وفي وسطهم الطاولة لكن بإختلاف الأدوار.
ريموند كوسيطة للروح التي سوف تتكلم على لسانها أو تَكتب على الورق أو تكون مجرد وسيطة لن تَفعل شيء فقط هي موجودة لتحضر الروح عليها أمام عاطف الغارق في ذهنه.
قام عاطف بتقييد ريموند التي ستؤدي دور الوسيط الروحي عن طريق تقييد يديها إلى مَسند الكرسي وكذلك قدميها.
وضع عاطف على الطاولة مجموعة من الأشياء.
صَليب معدني صغير قابض عليه بعنف موضوع في قطعة قماش بيضاء.
وورقة أخرى بيضاء خالية مِن أي كتابة إلا أول سطرين كتب عليهما حروف الهجاء وموضوعة على الطاولة.
فنجان قهوة موضوع على الطاولة، مقلوبًا ويَضع يديه على قاعدة الفنجان.

أُغلقت الأنوار فساد الظلام الدامس بخلاف ضوء شحيح يَسقط على الورقة المكتوب عليها حروف الهجاء، ساد الهدوء والسكينة.
طلب مِنها أن تُغمض عينيها، وألا تفكر في أحد الفانيين حتى لا تستحضر روح معينة، حيث أن فكرة التحضير تقتضي أن يفكر الوسيط بالروح المراد أستحضارها، لكنه أمرها أن تترك تلك المهمة للروح التي تريد المقابلة حيث لو كان هناك رسائل بالفعل لعزمت على الحضور، استجابت ريموند وأغلقت عينيها، وهو الأخر فعل ذلك، ترك ذهنه صافيًا لأبعد حدود.
تأمل عاطف وهو يردد ويسأل بينه وبين نفسه عن وجود أرواح في المكان، حتى حَدث أن تقلصت ملامح ريموند، وتَحركت يَد ريموند بـصورة عـشوائية وأنتـفخت أوردة يديها، وأانتقلت رأسها من جهة لأخرى.
كتم عاطف أنفاسه بعدما ملأ رئتيه بالهواء وتنفس بعمق، هيمن السكون على الموقف.
ذهبت ريموند لعالم آخر لَمْ تستشعر وجوده، أصبحت فعليًا جَسد بلا روح.

لَمْ تَقو على فعل شيء، غابت عن الوعي كُليًا .
وفي ظل السكون، وفجأة أنتبه عاطف عندما تحدثت أحد الأرواح على الورقة فظهر كلام مكتوب عليها.
الروح: جاكوب.
تَيقن عاطف إن الروح تَعرف اسمهُ الحقيقي فنطق.
عاطف: نعم
ثوان قليلة كانت كفيلة بكتابة على الورق.
الروح: أنا لوران.

عاطف: والدي!
تَطلع عاطف لعيني ريموند المنطبقتين وسط الظلام، عادت الكتابة مرة أخرى على الورق.
الروح: نَعم.
لَمْ يتفوه عاطف وظل حائرًا.
عاطف: . .
ظهرت كتابة أخرى على الورق.
الروح: كيف حالك؟
شَعر عاطف بتنميل في أطرافه.
عاطف: بخير.
تَحرك الكرسي الذي تَجلس عليه ريموند، دقق عاطف عينيه، توقف أهتزاز الكرسي وعادت عينا عاطف على الورق التي دَوّن عليه.
الروح: لَمْ تَكُن تتوقع أن تكون الروح هي لوالدك.
عاطف: صحيح . . لكن الأمر غريب بعض الشيء!
الروح: بالضبط.
الروح: جئت إليك على وجه الخصوص
لمعت عين عاطف في الظلام كالنمور وسط الظلام، تَجمعت هالة بيضاء فوق الطاولة تحيط بعاطف وريموند.
عاطف: لِمَ؟
انتظر عشر ثوان ثم ظهرت كتابة مرة أخرى على الورق، ودار الحوار بين عاطف والروح، الروح تكتب، وعاطف يَتحدث.
الروح: لكي تَعرف، للمعرفة .

عاطف: معرفة؟
الروح: أسلك طريق المعرفة.
ازدادت حيرة عاطف.
عاطف: عن أي معرفة تتحدث؟
صمت مخيف. .
عاطف: أي معرفة؟
الروح: المعرفة الحقيقة ، تتبعها .
عاطف: كيف؟
الروح: ستلقاها حولك، وحينما تجدها تتبعها حتى تعرف حقيقتك .
تَذكر عاطف أمر الحلم وما قيل له داخل الحلم (حقـيـقتك هـناك دور عـليها)
عاطف: وإلى أي مدي ستقودني؟
الروح: المعرفة تقود إلى تغيير الحقائق المُزيفة، وإزالة غشاء المجهول، وتستخرج مِن خلالها باطن الأمور.
أطرق عاطف مفكرًا فغلفت رأسه العديد مِن الأفكار اللحظية للحظات طالت ثم ردد.
عاطف: حقيقتك هُنا، ماذا كُنت تقصد بها؟
صمت لَمْ يقطعه شيء مطلقًا إلا صوت عاطف الذي قال مجددًا.
عاطف: ماذا كنت تقصد؟
أيضًا لَمْ يأت الرد.
سكون ممزوج بصوت الأنفاس.
أستشعر عاطف أن التنميل الذي كان مستشعره مِن قبل قد فك.

عاطف: والدي . .
لَمْ يَتلق ردًا، واختفت الهالة البيضاء التي كانت تُحيطهما.
عاطف: بماذا كُنت تقصد ؟!
أحس عاطف بالتحرر قبل أن يعتدل، أضاء الأنوار، وحَمل ريموند التي مازالت في غيبوبتها، وَضَعها على الأريكة، جَلس بِجَانبها، عقد يديه، ثم جعلها تُعانق (السكسوكة) جاعل من يده شكل الكأس، وضع رأسه بين يديه.
ربع ساعة ، نصف ساعة. .
جَسد ريموند منهك مَسجى على الأريكة، فَتحت ريموند نصف عين، جاهدت مِن أجل فتح العين الأخرى، أغلقت عينيها مرة أخرى، أحست بتنميل يجثو على جسدها، تمتمت بكلام غير مفهوم، نَعم مثل تلك التعويذات التي يقرأها الدجالين، فتحت عينيها مرة ثانية، تحرر جسدها مِن التنمِيل بقليل، أستندت بجهد حتى لاصقت ظهرها بالأريكة، ضغطت على جبينها لتزيح آلام الصُداع الذي كَنف رأسها، نظرت لعاطف بعين زائغة، أستردت جزء مِن وعيها المشوش، أرخت رأسها للوراء حتى عاد إليها وعيها الكامل، حركت رأسها الملاصقة لظهر الأريكة قليلًا ناحية عاطف وهي تقول:
- حَصل إيه؟
نَظر لها عاطف بعدما فتكَّ التفكير به فتابعت بعدما لَمْ تتلق ردًا:
- أنا مش حاسة بحاجة . .
نَطق عاطف أخيرًا وهو يحدق في لاشيء:
- دا طبيعي، متقلقيش . .
زفرت في ضيق قبل أن تَرجع رأسها في شكل مستقيم كسابق عهده ثم

قالت:

- الأولاد بخير؟

أومأ عاطف برأسه وقال وهو شارد:

- أها بخير.

أغمضت ريموند عينيها في إسترخاء فقطع عاطف الصمت:

- وريني مكان الحفر اللي في الأوضة.

فتحت ريموند عينيها وصبتّ تركيزها على عاطف:

- حفر إيه؟

- المكان اللي قولتيلي أنه أتكسر وأدفن فيه ناس.

- أه

وقفا رغم قواهما الخائرة، صامتين حتى أقتربَ مِن مكان دفن الجثث عقب الجريمة التي شاهدتها ريموند كأنما تشاهد فيلمًا بتقنية الـ (3D)، وقفت لثوان تَستعرض مسرح الجريمة وتتذكر مكان الحفر ثم أشارت مكان حيز كبير، طلب منها آلة دق وحديدة لها رأس بارز، أوفت ريموند ما طلب، وبدأ في تَكسير الحائط، أستشعر غرابة سهولة تَحطيم الحائط الذي أوحى له ذلك بسبب الثقب الذي ظهر في الحائط مِن ثاني دقة، أستكمل فوقع الجزء كاملًا وبدأ في تَكبير الحيز ليسع جسد بشري بالغ، تفوح مِن النفق رائحة شَنيعة بدأت في الانبعاث فبدا على وجهيهما التقزز والإشمئزاز، نصف متر هي حَصيلة المكان التي أشارت عليه ريموند، نفقًا سريًا يُفضي لمساحة داخلية أو غرفة سرية.

لو كان زاهي حواس موجودًا الآن لكان أجزم إنه اكتشف مقبرة تُضاف لسجل أكتشافاته وستُعيد مفهوم الحضارة المصرية القديمة مِن جديد،

ويَتنَقل بين القنوات الفضائية والصُحف الرسمية ليتحدث عن السر العظيم الذي اكتشفه بالصدفة البحتة.

بلمت ريموند ووقفت مندهشة، تَجرع عاطف زجاجة مياه كاملة سرت في جسده الذي أصبح كالأودية الجافة التي إنهالت عليها الأمطار الغزيرة ،دبتّ الروح فيها مُنذ أمد بعيد، أخرج علبة مناديل صغيرة التقط منها واحدًا ، جفف بهِ عرق وجهه، فوقعت بطاقة تعريف الهوية الخاصة به فلم ينتبه، في تلك الأثناء سُمع صوت ارتطام شيء بالأرض فنظر الى بعضهما البعض، سار عاطف ليتفقد الصالة بِحذر، لمحت ريموند البطاقة على الأرض فإلتقطتها ومررت عينيها على الأسم (جاكوب لوران)، وعندما عاد:

- الفازة أتكسرت وقعت على الأرض . .

قالها عاطف فأومأت ريموند برأسها، خطوتان، انحنى وأدخل رأسه في البهو قبل أن تقول ريموند وهي تبسط ذراعها:

- أتفضل يا أستاذ جاكوب . .

توقفت رأسه التي كانت تدور داخل الفوهة كرأس الأفاعي، أخرجها وتَسمر للحظات قَبل أنْ يلتفت لها ويقول مُحاولًا الحد مِن الرعب الذي استولى عليها:

- اسمي الحقيقي جاكوب، جاكوب لوران، عاطف المعروف لكنه مش الحقيقي.

هزت ريموند رأسها ببطء، ثم التفت ناظرًا للحفرة، أخذ نفسًا طويلًا، تشجع ثم عبر بين الحائط، كتم أنفاسه مكتفي بالنفس الذي أستنشقه، وصل إلى غرفة الدفن إن صح التعبير، العظام مرصوصة، بالطبع قد هتك الدود عرض الجثث التي كانت هنا، لَمْ يَكُن الأمر غريبًا عن عاطف الذي أعتاد تلك

المناظر، لَمْ تجزعه خوفًا غير أنفاسه التي أختلطت بالرائحة الكريهة، أخرج هاتفه المحمول وأضاء المِصباح، دار بنفق الضوء في أرجاء الغرفة وعلى الجثث حتى وقعت عينيه على صورة أبيض وأسود صغيرة مُهترئة فوق إحدى الجثث لرجُل وامرأة يحملان طفل يرتدي سلسلة متدلي منها حرف)، أستطلع عاطف الورقة وصب ضوء المصباح عليها فقرأ المدون عليها((ذكري عيد ميلاد أبننا جاكو) وكان حرف الـ (ب) مفقودًا بفعل عوامل الزمن.

(١٦)

قبل أعوام كثيرة.
دار العائلة المقدسة للخدمات ورعاية الأيتام.

كان مساء غير المُعتاد، حالك ينظر بتغيرات طقسية لمْ تعلن عنها نشرات الأخبار، وقعت التغيرات مثلما تَقع الأمطار في غير موعدها، وعادة ما يكون الصيف خاليًا مِن أمطار لكن على غير العادة تحولت السماء لغيوم ودوت أصوات الرَعد التي تَصم الآذان، تلبدت السماء بسحب كثيفة وهبت ذرات مَطر بغزارة مجلجلة فوق سقوف المنازل وحجارة الطرقات المتعرجة، بينما يَسير فريد وجاكوب في الشارع الطويل المفضي لكنيسة القيامة، كانت كنيسة غاية في العراقة كعادة كنائس مصر القديمة، لكنها في منقطة قسم الأزبكية، بجوارها مبنى دار أيتام تستشعر إنه أثري لأول وهلة، أسوار قديمة عالية مبنية مِن طوب عتيق كأن المبنى مِن العصور الوسطى، وباب كبير فوقه لوحة عليها نقوش بديعة لصليب بارز حول كلمة (الجمعية الخيرية القبطية الأرثوذكسية)، دخل فريد وخلفه جاكوب لباحة واسعة آخرها عمودان واقفان تحسب إنهما مُنتصبان مُنذ عهد الإمبراطورية الرومانية، في وسطهما بوابة حديدية مِن حسن حظ فريد عدم وجود حراس واقفين عليها حاليًا فغير الخطة التي أودعها ذهنه واستبدلها بخطة طرقت على ذهنه في الحال، وقف فريد وهو يلتفت حوله ليستكشف إن كان أحد

يتتبع خطاهما أو يتجسس عليهما ثم قال سريعًا:
- أستنى هنا يا جاكوب وهجيلك تاني.
تشبث جاكوب في معطف فريد:
- رايح فين يا فريد؟
رَكع فريد ليكون في مستوى طول جاكوب:
- هجيب لك شوكلاتة مِن برة وجاي تاني.
ترك جاكوب معطفه وهو يقول:
- متتأخرش عليا يا فريد.
قاوم فريد الدموع في عينيه:
- متخافش يا جاكوب مش هتأخر.
سلك نفس الطريق الذي دخل منه، وقف بالخارج وهو يخطف نظرات وداع لجاكوب الذي تسمر وهو يلتفت ليستكشف الحياة الجديدة، ترقرقت الدموع في عين فريد فأشاح وجهه ومضى، أما جاكوب فمل مِن الوقوف وظل يدور في أرجاء الفناء، حتى ظهرت راهبة تَرتدي عباءة لونها كُحلي تشبه التنورة، تتدلى على جسدها مِن قمة ثدييها إلى الأسفل حتى أَخْمَصِ قدميها، وتَستر شعرها بشال ملتف حول رأسها يَسحب أذياله خَلف ظهرها كبابا نويل، إنحنت وقالت للطفل:
- مين اللي سَمح لك أنك تخرج يا حبيبي؟
أستغرب الطفل مِن كلامها وأردف:
- أخرج منين ؟
- أنت اسمك إيه يا حبيبي؟
وقف جاكوب خائفًا، يمني نفسه أن يأتي فريد لينقذه، أطرق قليلًا وقال

بعدما أصر على عدم ذكر أسم (جاكوب) ثانيةً أمام أحد حتى لا يكون الأسم مجرد مزحة أو حتى لا يَسخر منه أحد مثلما فعل المعلم فقال:
- اسمي عاطف.

الأسكندرية
٢٠١٧/٧/١٦

- إن اليوم الذي تنتشر فيه التعاليم الروحية في عالمكم سيكون فجرًا جديدًا ليوم سعيد، إذ ستزول الفوارق بين الشعوب، وتهدم الحواجز بين الأجناس، وتذوب الفوارق بين الطبقات وتتلاقى الأديان حول حقيقة واحدة كما نبعث مِن حقيقة -.

سلفر برش
كتاب التوحيد والتعديد

شُكر خاص

محمد مجدي

رغداء عادل

هاجر مجدي

أحمد سمير

آية مصطفى

منة رامي

عمر أسامة

محمد يسري

أحمد طارق هنداوي

خالد محمود

محمد أسامة

وأخيرًا . .

مُنى الضايع (السورية الجميلة التي راجعت وصححت بعض مِن الكلمات باللهجة الشامية)

صدر للكاتب

- وهم سبق الرؤية - رواية -

للتواصل مع الكاتب

www .facebook .com/anaemad١٢٣
Emad Roushdy

فصلة

للنشر و التوزيع

Fasla Publishing & Distribution

تواصل معنا :

01067000701

E-mail -: Fasla .Pub@Gmail .com

Facebook .Com/Fasla .Pub